

KHANKI

NABULIYUN

2271
50849
368

2271.50849.368
Khanki
Nabuliyun...

[illegible]



32101 074069384

22

مكتبة خانيكة

Khan kī, 'Azīz

Nabuliyūn

نابليون ومحمد علي



المطبعة العصرية

اصحابها : الياس انقلون الياس

٦ شارع الخليج الناصري بالفيحالة بمصر

محمد على باشا الكبير

ونابليون^(١)

بين حياة نابليون وحياة محمد على وجوه شبه كثيرة . كلها مصادفات غريبة جداً تمتد من المهد الى اللحد :

- ١ - ولد نابليون في سنة ١٧٦٩ ، وولد محمد على مثله في سنة ١٧٦٩^(٢)
- ٢ - ولد نابليون في ثغر (هو ثغر أجاكسيو (Ajaccio) ، وولد محمد على مثله في ثغر (هو ثغر قواله (Cavala)^(٣) .

(١) كتبت « خلاصة » هذه المقالة في جريدة « الاهرام » في ٢ اغسطس سنة ١٩٤٣ وهو يوم ذكرى وفاة محمد على باشا الكبير في ٢ اغسطس سنة ١٨٤٩ .

(٢) وفي هذا الصدد يقول المؤرخ الفرنسي بول موريز Paul Mouriez في كتابه

القيم « تاريخ محمد على » :

“ Le héros de l’Egypte aimait lui-même à rattacher sa destinée à celle de Napoléon, et c’était une de ses grandes joies de penser qu’il était né la même année que lui ”

ومن الذين ولدوا ايضاً في هذه السنة نفسها — سنة ١٧٦٩ — ولنجتون Wellington قاهر نابليون في واقعة واترلو Waterloo . وشاتوبريان Chateaubriand الكاتب الفرنسي الشهير . وشيللر Schiller الشاعر الالماني الشهير . وكوفيهيه Cuvier من علماء فرنسا المشهورين . وهبمبولدت Humboldt العالم الالماني . وولتر سكوت Walter Scott الشاعر الاسكوتلاندي

(٣) قرر المجلس البلدى بمدينة قواله في ٢٢ مايو سنة ١٩٣٨ اطلاق اسم نيا بوليس Néapolis على مدينة قواله مسقط رأس المغفور له محمد على باشا الكبير . فأعاد اليونانيون اليها اسمها القديم الذى كانت معروفة به في عهد الاسكندر الاكبر المقدونى . وقواله Cavala معناها الجواد او الفرس . ويقال ان اسكندر الاكبر هو الذى ابدل اسم المدينة القديم باسم قواله Cavala تخليداً لذكرى جواده بوسيفال Bucephale . ولما قتل هذا الجواد في احدى وقائع الاسكندر في الهند سُمّيَ الاسكندر مدينة سَمّاها باسم جواده بوسيفال Bucephalie تقع أمام مدينة جلم Djelem (في الهندستان بتجاب) . وقد تغيّر اسم هذه المدينة غير مرّة . بعد ان كان اسمها نيا بوليس في عهد الاسكندر جاءت الدولة البيزنطية وأبطلت اسمها القديم وسَمّتها خرستوبوليس Christopolis (أى مدينة المسيح) . ثم جاء اليونانيون وسَمّوها كابالا Kaballa . وفي عهد الترك سُمّيت قواله Cavala . والآن جاء اليونانيون للمرة الخامسة وأعادوا اليها اسمها القديم نيا بوليس Néapolis

- ٣ - وثر أجا كسيو (جزيرة كورسيكا) واقع على البحر الأبيض المتوسط .
وثر قواله (مقدونيا) واقع مثله على البحر الأبيض المتوسط .^(١)
٤ - وطول قامة نابليون خمسة أقدام وبوصتان - متر و٦٨ سنتي - ^(٢) . وطول قامة محمد على خمسة أقدام وبوصتان ^(٣) .

٥ - بدأت حياة نابليون بنبوءة ، ذهب ليعود عمّ أبيه فنظر اليه عم أبيه (وهو يحتضر) وقال له : « ستصير أنت يا نابليون بعد حين رجلا عظيما » .^(٤)
"Toi, plus tard, Napoléon, tu seras un grand homme."

ولما رآه باولي Pascal Paoli أبو الثورة في جزيرة كورسيكا ينظم أول أورطة تولاها ، تولته الدهشة وقال :
"Ce jeune homme est taillé à l'antique ; c'est un homme de Plutarque."
وقد كان .

وبدأت حياة محمد على باشا بنبوءة مثلها . ذهب وهو في قواله لينخرط في سلك الثلاثمائة جندي الذين جندهم الحاكم ليلحقوا بالجيش التركي الذي سيّره السلطان الى

(١) فالبحر الأبيض جاء همزة وصل بين فرنسا ومصر ومقدونيا . وقد اشار الى هذا محمود فخري باشا في الخطبة التي القاها امام مسيو ميللراند Mr. Millerand رئيس جمهورية فرنسا عندما قدم له اوراق اعتماده كوزير مصر في فرنسا حيث قال :

"La Méditerranée nous a unis et rien ne nous sépare"

(٢) نقلا عن نابليون نفسه . اذ انه في اثناء حصار يافا في مارس سنة ١٧٩٩ صوب احد جنود عبد الله اغا قومندان يافا بنديقيته نحو نابليون فأصابت قممته واقتها على الارض واصابت قومندان الآلاى الفرنساوي — وكان طويل القامة — وأردته قتيلا . فقال نابليون كلمته « هذه هي ثاني مرة اراني مديناً بحياتي لقصر قامتي وهي خمسة أقدام وبوصتان — راجع صحيفة ٢٧٥ من كتاب « بوناپرت في مصر » Buonaparte en Egypte, par Désiré Lacroix

وها الاصل الفرنسي :

"Voilà la seconde fois depuis que je fais la guerre, que je dois la vie à ma taille de cinq pieds deux pouces.

(٣) وفيه يقول كلوت بك Clot Bey :

"Sa taille est peu élevée; elle ne dépasse pas cinq pieds deux

pouces. Voir Aperçu général sur l'Egypte, par Clot Bey. T.I.P. 60.

(٤) ومن المصادقات الغريبة انه كان يوجد في باريس في زمن نابليون عرافة شهيرة اسمها لونورمان Lenormand قابلت جوزيفين بعد زواجها بنابليون بوناپرت وتنبأت لها بما ستلاقيه في حياتها بعد زواجها بنابليون من عظمة وسؤدد وسلطان وقد تحققت نبوءتها . ولما صارت جوزيفين امبراطورة استدعتها فتنبأت لها باعتزام نابليون على ان يطلقها (وقد تحققت نبوءتها) فلما سمع نابليون بهذه النبوءة أمر بالقبض عليها وبعد بضعة أيام افرج عنها - راجع قاموس لاروس القرن العشرين ... كلمة Lenormand

مصر لطرد الفرنسيين ، وكان محمد علي متمعضاً ساخطاً من أمر تجنيده فقابله في طريقه رجل عجوز فلما آنس على محياه دلّاه السخط والكآبة سأله عن سبب كآبته ودار بينهما الحديث الآتي :

العجوز - ما سبب كآبتك ؟ .

محمد علي - يريدون إرسالى الى مصر لمحاربة الكفار .

العجوز - وماذا ترى فى ذلك ؟ .

محمد علي - أنا لا أريد السفر لأن بقائى فى بلادى خير لى . الدار هنا دار أمان ولى فيها أصدقاء ورفقاء .

العجوز - أنت غلطان ، نعم ان الطريق طويل ووعر ولكنه يوصل الى ذروة المجد ، فتوكل على الله وسافر على بركة الله .

وكثيراً ما كان محمد علي يذكر هذه النبوءة فى أحاديثه (١) .

ويقول السرتشارلس موري فى الكتيب الذى وضعه على محمد علي : انه لما كانت أمه حاملاً به ذهبت يوماً الى عرافة ذاع صيتها فى « قواله » وسألتها عما يجنبه القدر لمولودها الجديد فتنبأت لها بأن ولدها سيرقى ذروة المجد والعظمة و يبلغ مرتبة الحكم والمملك ، فاغتبطت بهذه النبوءة . ولما ترعرع ابنها لم تكف عن ترديد هاله فأثرت فيه تأثيراً عظيماً وتولد فيه شعور الطموح الى المجد ثم لم يلبث أن أحس بدافع يدفعه الى سلوك الطريق المؤدى اليه (صحيفة ١٨ من كتاب « محمد علي » بقلم الاستاذ كريم بك ثابت) .

٦ - ونابليون نشأ فقيراً . ومحمد علي نشأ فقيراً مثله (٢) .

٧ - ونابليون تزوج مرتين ، فى المرة الأولى تزوج بجوزيفين Joséphine (فى ٩ مارس سنة ١٧٩٦) وفى المرة الثانية بمارى لويى (بنت امبراطور النمسا) فى

(١) راجع هذه الحكاية فى الصحيفة ٦٢ من كتاب موريى Mouriez جزء اول فى تاريخ محمد علي . — ويروى أن محمد علي رأى ذات ليلة فى منامه انه ظمى ظمأ شديداً فشرّب كل ماء النيل ولم يرتو فلما أصبح الصباح قصّ رؤياه على الشيخ فقال له (ابشر يا ابنى فأن منامك معناه انك سوف تملك وادى النيل بأسره ولا تكفى به فتجاوزه) . وقد تحقّق تفسير هذا المنام .

(٢) لما رحل نابليون من بلده فى جزيرة كورسيكا قاصداً فرنسا ليلتحق بالجيش لم يكن معه

٢ أبريل سنة ١٨١٠ وكانت له خليلات كثيرة . ومحمد على تزوج مرتين ، في المرة الأولى تزوج أمينة هانم في خلال سنة ١٧٨٧ (بنت علي باشا الشهير بمصرلى من أهالى نصرتلى التابعة لدراما) . وفي المرة الثانية تزوج ماه دوران هانم وكانت له مستولدات كثيرة .
٨ - - وزوجة نابليون الاولى كانت أرملة ، وزوجة محمد علي الاولى كانت أرملة .
٩ - وإحدى زوجتى نابليون (جوزيفين) لم تلد له ولداً ولا بنتاً . وإحدى زوجتى محمد على (ماه دوران) لم تلد له ولداً ولا بنتاً .

١٠ - كانت جوزيفين Joséphine طالع سعد على زوجها نابليون (١) . وكانت أمينة هانم طالع سعد على زوجها محمد على (٢) .

سوى ٥٩ فرنكا . فلما وصل الى مدينة ليون كان كل ما معه قد نفد فاضطر أن يمضى على قدميه من مدينة ليون الى مدينة فالانس حيث القشلاق الذى عين له . ولعدم وجود ساعة معه اضطر الى التخطيط مزولة امام شباك غرفته ليعرف منها الوقت . وصادفه وقت كان يطبخ بنفسه لنفسه . كما جاء وقت اضطر فيه ان يبيع ساعتة ليشتري بثمنها طعاماً . وقد أحب نابليون فتاة وطلب أن يتزوج بها الا ان أهلها رفضوا بسبب فقره . وهذا ما قاله عن نفسه :

“ J'étais le plus pauvre de mes camarades, ils avaient de l'argent, je n'en eus jamais.” Rosny من كتابه ٢٢ صفحة

الى ان قال :

“ C'est en ne mettant jamais les pieds dans un café ni dans le monde, c'est en mangeant du pain sec, en brossant mes habits moi-même que. . . P. 25.

ولما كانت أمه وأخواته في مرسيليا كانت معيشتهم في غاية الضيق حتى ان بعض الجمعيات الخيرية كانت تعطف عليهن وتبرهن . والام وبنتها كارولين كانتا تتسلان الثياب في الغسل العمومى بينما كانت بنتاها الآخران بولين وأليزا تتسلقان من وقت الى آخر أسوار بعض الحدائق لحطف بعض الثمار .

(١) أليس من أعجب العجائب ان هذا الفقير يصبح بعد بضع سنوات سيد أوروبا بل سيد العالم حتى انه ذهب ذات يوم الى الصيد مع بعض الملوك والامراء والعظماء فلما جاء وقت الظهيرة أصدر أوامره تبعاً الى ثلاثة من الملوك ليستمتعوا الغداء . قال لاولهم (أنت يا ملك هولندا استمتع الغداء) ولما لم يحضر الغداء نادى الى الثانى وقال له (انت يا ملك اسبانيا اذهب واستمتع الغداء) فلما أبطلوا التفت الى ثالثهم وقال له (أنت يا ملك نابولى اذهب واستمتع الغداء) . كانت اشارته أمراً وأمره حكماً .
وقد أشار الى هذا وزير النمسا الاكبر مترینيك (Metternich) عند ما قال :

“ C'est tout de même un homme extraordinaire, celui qui peut s'offrir l'orgueilleux plaisir d'envoyer successivement trois rois à la cuisine pour voir si son déjeuner est à point.” (Voir, EN SUIVANT L'EMPEREUR PAR G. LENOTRE P. 89.

واعجب من هذا واغرب ان هذا الفقير يصبح امبراطوراً على فرنسا . واخاه لويس (الذى كان يفتش الارض لينام) يصبح ملك هولندا . واخاه جيروم يصبح ملك وستفاليا . واخاه يوسف يصبح ملك اسبانيا . واخاه كارولين ملكة نابولى . واخاه البرزا غراندوقة توسكانيا . واخاه بولين اميرة بورجين . وعرض على اخيه لوسيان ان يكون ملكاً فرفض
(٢) ومن مأثور قول محمد على عن نفسه « ان محمد على ليس مديناً بكل ما ادركه لجاء في النسب

- ١١ - ونابليون رفع زوجته جوزيفين من طبقة الشعب الى ذروة المجد والجاه والسلطان فصارت « امبراطورة فرنسا » ^(١) . ومحمد على رفع زوجته من طبقة الشعب الى ذروة المجد والجاه والسلطان فصارت « ملكة النيل » كما سماها أهل الحجاز عندما حجت وزارت الروضة النبوية في خلال سنة ١٨١٤ .
- ١٢ - وابن نابليون كان « ملك روما » عاصمة النصرانية . وابن محمد على (ابراهيم) كان « أمير مكة » عاصمة الاسلام ^(٢)
- ١٣ - ونابليون كان ضابطاً في الجيش الفرنسي قبل أن يحكم فرنسا . ومحمد على كان ضابطاً في الجيش التركي قبل أن يحكم مصر .
- ١٤ - ونابليون بدأت شهرته العسكرية باخراج الانجليز من ثغر طولون (فرنسا) . احتلوه في ٢٨ أغسطس سنة ١٧٨٦ وأجلوه في ١٧ ديسمبر سنة ١٧٨٦ ، ومحمد على بدأت شهرته العسكرية باخراج الانجليز من ثغر الاسكندرية ، احتلوه في ١٧ مارس سنة ١٨٠٧ وأجلوا عنه في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٧ .
- ١٥ - ونابليون حضر من فرنسا الى مصر - ليحتلها - في سنة ١٧٩٨ ، ومحمد على حضر من تركيا الى مصر - ليخرجه منها - في سنة ١٨٠١ ^(٣) .
- ١٦ - ولولا نابليون ما كان محمد على ، لانه لولا محيىء نابليون الى مصر لاحتلالها ما جاء محمد على الى مصر لاجراجه منها
- ١٧ - ولولا مساعي قناصل نابليون لتأييد ترشيح محمد على للولاية على مصر

ولا لثروة ورثها لا لاحد بل لنفسه وحده » . وقوله لمستر باركر قنصل انجلترا في مصر : « حضرت الى هذه البلاد وانا لا املك شيئاً »

(١) بدأ أفول نجم نابليون من بعد ان طلق جوزيفين ليتزوج ماري لويز بنت امبراطور النمسا

(٢) "Mahmoud, comme s'ill eût voulu reporter sur Ibrahim-Pacha tout

l'honneur de cette pacification, nommait celui-ci prince de la Mecque. Le but machiavélique du Sultan était facile à saisir. Cette dignité, suprême dans l'Empire, donnait le pas à son titulaire sur tous les vizirs, et créait ainsi au fils une position hiérarchiquement supérieure à celle de son père. (p.149)

(٣) حضر محمد على الى مصر مرتين : مرة في سنة ١٧٩٩ فيها شهد موقعة ابي قير التي انتصر فيها بونايرت على الجيش التركي الذي كان تحت امرة الوزير مصطفى باشا وقد نجا محمد على مع من نجا وعاد الى بلاده . ثم عاد مرة أخرى في سنة ١٨٠١ مع الجيشين التركي والانجليزى لاجراج الجيش الفرنسي من مصر وانتصر .

لغازت انجلترا بترشيح حليفها محمد بك الالفي ، ان السلطان لابعاد محمد علي عن مصر عينه والياً على جدّه ليخلو الجو الي محمد بك الالفي وإلى انجلترا حليفته . إلا أن قناصل نابليون كانوا لها بالمرصاد ، أحبطوا مساعي ودسائس انجلترا وأبدوا مبايعة محمد علي . ورجال السياسة الذين عملوا لنصرة محمد علي هم : ماتيو دي لسبس Mathieu de Lesseps (والد فرديناند دي لسبس Ferdinand de Lesseps) صاحب قنال السويس ، ودروفيتي Drovetti قنصل نابليون في مصر ، وبارانديه Parandier القائم بأعمال حكومة فرنسا لدى الباب العالي ، ومانجين Mangin القائم بأعمال القوميسارية في مصر، فقد كتب مسيو ماتيو دي لسبس الى حكومته يقول « يبدو لي ان الجياشي محمد علي هو من دون غيره من كل الزعماء أهل لأن يقضي على الفوضى التي تسوق مصر الى الخراب وتسوق أهلها الى الشقاء » (١) .

وفي هذا الصدد يقول المرحوم الياس بك الايوبي (وفي ٩ يوليو وصل الى مصر كاجبي من دار السعادة - وكان محمد علي منذ ان قبل الولاية قد بعث بالهدايا النفيسة الى رجالها ليحملهم على اقرار ما فعله علماء مصر . فبعد أن تردّد الديوان كثيراً وماطل كثيراً انقاد في نهاية الأمر الى نصائح السفير الفرنسي هناك (وكان قد أوصاه بمحمد علي خيراً القنصل الفرنسي بمصر واسمه ماتيو دي لسبس Mathieu de Lesseps

(١) ورد في كتاب (محمد علي والى مصر سنة ١٨٠٥ — ١٨٠٧ ما يأتي :

“ Drovetti allait les défendre avec une habileté peu commune, s'inspirant des deux principes que Lesseps lui léguait pour régler sa conduite; favoriser d'une part Mohamed Aly, qui, dans la grande détresse où était alors plongée l'Egypte, paraissait le seul homme capable d'y rétablir l'ordre, de l'autre prendre en tout et partout le contrepied de la politique anglaise. Ces deux principes n'allaient pas tarder d'ailleurs à se confondre en un seul. V.- Mohamed Aly, Pacha du Caire, 1805-1807.”

الي ان قال :

“ Laissé à lui seul, Drovetti eut le mérite de reconnaître en Mohamed Aly le seul homme capable de gouverner l'Egypte, le seul aussi capable de mettre le pays à l'abri d'un envahissement en cas de rupture avec l'Angleterre. La justesse de ses vues allait, avant peu de mois, recevoir une éclatante confirmation.”

وهذا المعنى يقول كلوت بك (صحيفة ١٠) —

“ La France par l'intermédiaire de son consul Mr. de Lesseps intervenait en faveur de Mohamed Ali - Clot Bey. P. 10.”

وهو أبو فرديناند دى لسبس صاحب قناة السويس . (راجع صحيفة ٦٠ من كتابه (محمد على : سيرته واعماله وآثاره) : الى أن قال فى صحيفة ٦٩ (اقبل قنصل فرنسا يضع الالغام تحت مساعى زميله القنصل البريطانى ويحول الى محمد على خدمة خمسة وعشرين مملوكاً فرنسائياً كانوا تحت لواء الالفى . وما فتئ يؤكد للسفير الفرنساوى فى الاستانة أن محمد على صديق صدوق لفرنسا . وان بقاءه والياً على مصر يتفق دون وجود سواه أياً كان مع المصالح الفرنساوية فى القطر . وأقبل السفير الفرنساوى فى الاستانة يعضد مساعى الرسول الذى أرسله محمد على اليها بالحوالات السمنية . ويعضدها بكل النفوذ الذى كان يستمدّه من مولاه نابليون الاول صاحب الكلمة العليا فى اورباً بعد ان قهر النمساويين والروس فى وقعة أوسترلتز سنة ١٨٠٥) .

١٨ - ونابليون سكن فى سراي الألفى بك بالأزبكية ^(١) ومحمد على باشا سكن مثله فى سراي الالفى بك بالأزبكية وفيها ألبسه العلماء الكسوة فى ١٣ صفر سنة ١٢٢٠ من الهجرة ، وفيها أيضاً تلى فرمان توليته فى ٢ ربيع آخر سنة ١٢٢٠ هـ .

١٩ - لما زار ابراهيم باشا فى أخريات أيامه ملك فرنسا سكن قصر الأليزيه Elysée فى الجناح الذى سكن فيه نابليون ونام ابراهيم باشا فى نفس السرير الذى نام فيه نابليون بعد هروبه من جزيرة ألب Elbe .

٢٠ - ونابليون عندما كان يزور الازهر كان يسمى نفسه (الشيخ على) بونابرت

— (١) —

“ Le 25 Juillet, le général en chef, fit son entrée dans le Caire, descendit à la maison d'Elfy-Bey, située sur la place Ezbékiah. V. Désiré Lacroix. P. 125.”

وقال المؤرخ بانفيل :

“ Bonaparte établit son quartier général, place Ezbékiah, dans le palais d'Elfi-Bey. V. Bonaparte en Egypte. par Jacques Bainville. P.36.

حاشية : انشئت حديقة الازبكية فى عهد المغفور له الخديوي اسماعيل باشا . وكانت من قبل بركة حفرها الامير أزيك . وكان يقوم على هذه البركة قصر المرحوم محمد بك الالفى احد امراء المماليك وقد اتخذه نابليون مسكناً له فيما بعد . ثم سكنه القائدات كليبر Kléber ومينو Menou ثم سكنه الوالى محمد على باشا الكبير . (راجع صحيفة ٨ من كتاب « بعض حقائق القاهرة » بقلم الاستاذين حسين البابلي وعزيز قدرى) .

ليستميل اليه المصريين وليوهمهم بأنه حضر لنصرة الاسلام وحماية المصريين من ظلم الترك والماليك . واسم (على) يدخل في اسم محمد على باشا ، و (على) أيضاً هو اسم المملوك الذى خدم نابليون في فرنسا وكان له حظوة عنده . و (محمد على) هو اسم ابن زبيدة التى تزوجها الجنرال (مينو Menou)^(١) قائد نابليون الذى حكم مصر بعد اغتيال الجنرال كليبر . ولما أراد أن يرافقه أحد أنصاره St. Denis في منفاه استترحت اسم (على) وادعى انه مملوك نابليون . و (على) هو اسم ابن حاكم قواله الذى رأس القوة التركية التى سافرت من قواله الى مصر وكان مساعده فيها محمد على . ولما سعى نابليون لاستمالة ولاية الشرق الأدنى أرسل رسولا اسمه لافاليت Lavalette الى (على) تبلىنى Tebeléni باشا يانينا « البانيا » . يقابل هذا ان أحمد أغا خازنداره الذى أرسله محمد على الى جزيرة العرب لقمع ثورة الوهايين سموه (أحمد أغا بونا برته) لشدة بأسه^(٢) . ومحمد على نفسه سموه (نابليون الشرق The Napoleon of the East) لعبقريته . ونابليون نفسه لقبوه (المصرى l' Egyptien) . ورد في تاريخ (نابليون الثالث) وفي صحيفة ٨٥

Qui serait en état de faire un nouveau Brumaire, sinon " la neveu de l'Egyptien."

٢١ - ونابليون بعد وفاة أبيه كفله عمه ومحمد على بعد وفاة أبيه كفله عمه طوسون اغا

٢٢ - ونابليون بايعه الفرنسيون بالاجماع امبراطوراً عليهم^(٣) ومحمد على بايعه المصريين بالاجماع والياً^(٤) .

(١) وقد ولد له منها ولد سماه جاك سليمان مراد واسمه مقيد في سجلات محكمة رشيد الشرعية .

(٢) Ahmed-Agâ, son Kaznadar, dont la réputation militaire était si grande en Egypte, qu'on ne le désignait que par le surnom de Bonaparte.

(٣) نال ٣٠٠٠٠٠ صوت ضد ١٥٠٠ . والى هذا الاجماع اشار نابليون عندما قال في اول ديسمبر سنة ١٨٠٥ :

"Je monte au trône où m'a appelé le vœu unanime du Sénat, du peuple et de l'armée. (V. la Vie de Napoléon. P. 148.)

(٤) بايعه العلماء والاعيان والتجار والموظفون وأصحاب الرأي والوجهة في البلد . وعن هذه المبايعه كتب قنصل فرنسا في مصر وقتئذ الى وزير خارجية فرنسا يقول :

" C'est la première fois qu'on voit un pacha proclamé par le peuple."

وقال المؤرخ دريو Driault :

" Il ne faudra point oublier que Mohamed Ali fut l'élu du peuple et que sa dynastie est d'origine et de fondation populaire. V. Driault. P. 212

٢٣ - و نابليون كان من أصل أجنبي عن فرنسا^(١) ويسميه المؤرخون Le corse.

ومحمد علي كان من أصل أجنبي عن مصر^(٢) ويسميه المؤرخون Le Rouméliote أي

(١) أبوه ايطالى من عائلة بونابارته Buonaparte وامه ايطالية من عائلة رامولينو Ramolino اسمها Loetitia . ولد نابليون في اجا كسيو بجزيرة كورسيكا بعد ان تنازلت عنها جمهورية جنوا Gènes الايطالية الى لويز الخامس عشر ملك فرنسا بسنة واحدة فقط (هي سنة ١٨٦٨) . وكانت امه لا تتكلم الا اللغة الايطالية . وفي وثيقة زواجه بجوزيفين كتب اسمه وامضى هكذا : (Napoleone Buonaparte) ولما صدر امر لويس السادس عشر ملك فرنسا بتعيينه ضابطاً كتب اسمه هكذا Napoleone de Buonaparte

ويقول احد مؤرخيه :

“ Il supporta stoïquement les moqueries de ses camarades qui l'appelaient “ Le Corse ” et la “ Paille au nez ” parce qu'il prononçait son nom “ Napolillione. ”

ومن الكلمات التي كانت ترد كثيراً على لسانه عند ما كان يتحمس قوله :

— “ Di questo non c'e dubbio (Il n'y a pas de doute là dessus) ”

— “ che mi taglia l'anima ” وقوله :

— “ il sole mi brucia il cervello ” وقوله :

والمعروف ان امه كانت لا تحسن الكلام باللغة الفرنسية :

“ La mère de Napoléon parlait mal le français ; on connaît son fameux mot “pourvou que cela doure” pour dire “pourvu que ça dure.”

ويروى المؤرخ لينوتر Lenôtre ان احد ملوك ايطاليا دعا نابليون — وكان وقتئذ قنصل فرنسا الاول Premier Consul — لشمود حفلة التي فيها احد الشعراء (واسمه جياني) قصيدة فهنأه نابليون باللغة الفرنسية . فالتفت اليه الملك الايطالى وقال له « الست ايطالياً مثلنا ؟ الست واحداً منا ». وها الاصل :

“ Celui pour qui la fête était donnée ne comprit d'ailleurs aucune de ces allégories. Il ne prêta attention qu'aux vers d'un improvisateur italien, le célèbre Gianni, qui débita une pièce de circonstance. Comme le premier consul répondait au compliment par quelques mots en français le pauvre roi, qui n'en manquait pas une, lui dit : “Ma in sommo, siete Italiano, siete nostro. (Mais, en somme, vous êtes Italien, vous êtes des nôtres)”. Aussitôt Bonaparte riposta, d'un ton coupant, comme une lame de sabre : “ Je suis Français ”. Et il tourna le dos à son inepte interlocuteur. V. “ Napoléon ” par G Lonôtre. P. 69

ويقول المؤرخ Rosny :

“ Napoléon fut conduit à Autun où il devait apprendre quelque peu le français. Il n'avait guère eu le temps de s'initier grosso modo à cette langue, lorsqu'on le transféra à Brienne.” V. “ Napoléon le Grand.” par Rosny aîné.

(٢) تركي ولد في قواله من اعمال مقدونيا ومقدونيا كان يطلق عليها في عهد السلطنة العثمانية

اسم (روملى la Roumélie) .

الروملي لأن سلاطين آل عثمان سموا مقدونيا « الروملي » .

٢٤ - ونابليون نودى به امبراطوراً فى شهر مايو ، ومحمد على نودى به والياً فى شهر مايو واعتمد والياً على مصر فى ١٧ مايو ، نابليون فى سنة ١٨٠٤ ومحمد على فى سنة ١٨٠٥ وكان عمر نابليون ٣٤ سنة وعمر محمد على ٣٥ سنة .

٢٥ - ونابليون أنشأ الاسطول الفرنساوى ولم يكن لفرنسا أسطول يذكر ، ومحمد على أنشأ الاسطول المصرى ولم يكن لمصر أسطول أصلاً^(١) .

٢٦ - ونابليون كان رجلاً نفاذاً جباراً فى قوله وفى فعله يقول للشيء « كن فيكون » يعمل عمل سنة فى شهر . وعمل شهر فى يوم . وعمل يوم فى لحظة . عمل فى مدينة البندقية فى أربعة أيام ما لم يعمله الايطاليون فى أربع سنوات ، ومحمد على مثله عمل فى مصر فى أقل من نصف قرن ما لم يعمله سلاطين آل عثمان فى ثلاثة قرون .

٢٧ - وفى زمن حملة نابليون - وبالتحديد فى ٨ مارس سنة ١٨٠١ - نزل

الانجليز بشعر الاسكندرية واحتلوه إذ وصل أسطول انجليزى تحت امره لورد كيث Keith ثم زحف الانجليز الى القاهرة وانتهى الأمر بتسليم الجنرال مينو (الذى خلف الجنرال كليبر بعد اغتياله عن يد سليمان الحلبي^(٢)) وجلاء الفرنساويون عن القطر

(١) ما كان لمصر فى ذلك الوقت أسطول تجارى ولا حربى وما كان فى مصر مدرسة بحرية تخرج ملاحين يخوضون البحار ويعرفون مواقع البلاد ومواضع الموانئ والمنابر . وقد روى أحد المؤرخين أن أميراً مصريةً أبحر من نهر الاسكندرية قاصداً جزيرة مالطة فتجول فى البحر الابيض شهراً باحثاً عن مالطة فلم يهتد إليها فرجع الى الاسكندرية مؤكداً أن جزيرة مالطة لا وجود لها الا فى مخيلة من زعم بوجودها . وهما الاصل :

“On cite comme exemple, sous les derniers règnes, un amiral égyptien qui, parti d’Alexandrie, ne put jamais relever le gisement de l’île de Malte, et revint un mois après, en soutenant que Malte, - une fantaisie de géographe, - n’existait que sur le papier.”

ولما دعا السلطان محمود محمد على لقمع ثورة الوهابيين بنى اول اسطول فى ترسانة بولاق وحمله على ١٨ الف رجل الى السويس . كما انشأ ترسانه فى السويس . كما انشأ ترسانة فى الخرطوم . وقد عين محمد على صهره محرم بك لامارة الاساطيل المصرية فكان اول امير وناظر للبحرية المصرية . ولما دمر الحلفاء الاسطول المصرى فى نافرين (فى بلاد اليونان) أنشأ محمد على ترسانة الاسكندرية فأخرجت اول سفينة فى يوم ٣ يناير سنة ١٨٣١ اسمها « المحلة الكبرى » وكانت مسلحة بمائة مدفع ولم تمض بضع سنوات حتى اصبح الاسطول المصرى رابع اسطول فى العالم بز على قرنه الاسطول النمساوى وفاق بكثير الاسطول العثمانى .

(٢) السكين الذى قتل به سليمان الحلبي الجنرال كليبر محفوظ فى متحف كاراكسون بفرنسا .

المصرى في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠١ . وفي زمن محمد على نزل الانجليز في ثغر الاسكندرية في ١٧ مارس سنة ١٨٠٧ . وبعدها استولوا عليها أرسلوا قوة عسكرية الى رشيد للاستيلاء عليها الا أن أهالي رشيد وعلى رأسهم حاكمها العسكرى الباسل على بك السلانكلى فتكوا بهم فتكا ذريماً . فلم ير الجنرال فريزر الانجليزى الا التحصن في الاسكندرية . ولضمان عدم الهجوم عليه قطع حاجز بحيرة مريوط على ان الامر انتهى به الى اخلاء الاسكندرية في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٧ . ولما اتصل نبأ جلاء الانجليز عن مصر وردت الى محمد على التهانى من السلطان وأعاد اليه ابنه ابراهيم الذي كان رهينة عند السلطان .

ومن غريب المصادفات أن يعود الانجليز بعد ٧٥ سنة ويحتلوا القاهرة في يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ على أثر الثورة العراقية . وعسى أن ينجلوا عنها في ١٤ سبتمبر المقبل ٢٨ - ونابليون أنشأ امبراطورية عظيمة شملت فرنسا وألمانيا وإيطاليا وبلجيكا وهولندا واسبانيا^(١) . ومحمد على أنشأ امبراطورية عظيمة شملت مصر والسودان وجزيرة العرب وفلسطين وسوريا وجزيرة كريت .

٢٩ - والبابا - وهو خليفة المسيح - حرم نابليون حرماً كنسياً واعتبره من الخوارج المارقين . والسلطان محمود - وهو خليفة الرسول - أعلن عصيان محمد على واعتبره من الخوارج المارقين (بعد سقوط عكا في يد الجيش المصرى في ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢) .

٣٠ - ونابليون كان يكره الاحتفالات والزينات التى يعملها الفرد أو الجمهور لتكريمه أو لاثهار ولائه . يقول عن هذه الحفلات وعن الزينات انها خزعات

(١) "En 1809, l'Empire français, et ses dépendances, a atteint son maximum de grandeur. Il s'étend loin au delà de ses frontières naturelles, le Rhin et les Alpes. La confédération du Rhin, qui comprend, entre autres, la Westphalie, la Saxe et la Bavière, est sous le pied du Maître.

Il s'est fait roi d'Italie, une Italie réduite dont Eugène est le vice-roi. Murat règne à Naples, dominé par sa femme, Elisa Bonaparte. En Espagne, Joseph est un roi funambulesque. P. 202. Napoléon le Grand, par Rosny.

لاتليق بعظمة الرجل العظيم بنفسه وبأعماله . حدث انه بعد أن انتصر على النمساويين في موقعة مارنجو Marengo الشهيرة أراد العودة الى باريس فلما وصل الى مدينة ليون اتصل به ان شعب باريس يريد أن يقيم له أقواس نصر ويستقبله باحتفالات وزينات فكتب في ٢٩ يونيه سنة ١٨٠٠ من مدينة ليون الى أولى الحل والعقد في باريس يخبرهم بأنه لا يريد من هذا شيئاً (١) .

ومحمد على مثله يكره مظاهر الفخفخة والأبهة ويميل الى البساطة . حدث انه لما عاد ابنه ابراهيم باشا من بلاد الحجاز بعد أن قهر الوهايين استقبله الشعب المصرى استقبالا باهراً جداً وأقام له معالم زينات كثيرة . اتدري ماذا كان من أمر محمد علي ؟ انزوى في عقردار واكتفى بأن شاهد الموكب من شرفة تطل على الشارع وترك لأبنه ابراهيم الاستئثار وحده برؤية الشعب ملتقاً حوله مظهرأ فرجه وابتهاجه ...

٣١ - ونابليون أطلق اسمه على مدينة ألمانية « ولهمسوهي Wilhelmshöhe » (٢)

وسماها « نابليونوهي Napoléonshöhe » (٣) ، ومحمد على أطلق اسمه في اول فبراير سنة ١٨٣٩ على بلدة في السودان « فامكة » في منطقة فازانجورو وسماها « حلة محمد علي » أو « مدينة محمد علي » وقد اندثرت المدينة فزال الاسم بزوال المدينة وهى تقع في

(١) "J'arriverai à Paris à l'improviste. Mon intention est de n'avoir ni arc de triomphe ni aucune espèce de cérémonie. J'ai trop bonne opinion de moi pour estimer beaucoup de pareils colifichets. Je ne connais pas d'autre triomphe que la satisfaction publique. P. 109-110.

(٢) ومن المصادقات الغربية ايضاً انه لما انتصرت المانيا على فرنسا في حرب السبعين وسلم نابليون الثالث نفسه الى ملك بروسيا امر بسمارك باعتقاله في هذه المدينة التي كان عمه نابليون الاول سماها باسمه .

(٣) "Nous sommes allés à pieds Jusqu'à Wilhelmshöhe, superbe château à deux milles de Cassel, le plus remarquable que j'aie vu en Allemagne, à l'exception de Postdam. Nous avons pu voir l'échafaudage élevé sur la façade qui est du côté de Cassel, qui avait servi aux ouvriers chargés d'enlever l'inscription "Napoleonshöhe" et qu'on avait laissé là dans l'intention de l'utiliser pour faire remettre l'ancienne inscription "Wilhelmshöhe." (Napoléon et Byron. P. 94.)

وسط جبل فامكة في الجنوب الشرقي لروصيرص وتبعد ٢٥ ميلا عن حدود الحبشة وكان غرض محمد علي من إنشاء هذه المدينة صد غارات الأقباش علي السودان وإنشاء معسكر يحمي رجاله الذين استعملهم لاستخراج الذهب من جبال « فاز اوغلي » ومن نهير اسمه « تمت » .

٣٢ - ونابليون أسس في فرنسا مدينة سماها نابليون فاندیه Napoléon Vendée أصلها قرية خربة اسمها روش علي نهريون (la Roche sur Yon)^(١) ، ومحمد علي أنشأ مدينتين في السودان (الخرطوم في سنة ١٨٢٣ « ١٢٣٨ من الهجرة » . وكسلة في سنة ١٨٣٤ « ١٢٤٩ من الهجرة ») .

٣٣ - ونابليون أول من شرع في تنفيذ فكرة حفر قنال السويس اما من البحر الابيض الى البحر الاحمر . أو من النيل الى البحر الأحمر^(٢) . لأن حكومة فرنسا عندما أمرت بتجهيز حملة لغزو مصر كلفت قائد الحملة أن يشق برزخ السويس وأن يجري الاعمال اللازمة ليضمن للجمهورية الفرنسية الاستيلاء علي البحر الاحمر استيلاء تاماً (وثيقة ١٢ أبريل سنة ١٧٩٨) وبمجرد وصول الحملة الى مصر واستيلاء بونابرت علي القاهرة بدأ بعمل التمهيدات اللازمة لحفر القنال : فسافر هو بنفسه مع بعض المهندسين الى السويس وعين أراضى المنطقة . الا أن الظروف لم تمكنه من تنفيذ الفكرة^(٣) . وفي عهد محمد علي أعاد ثلاثة من كبار المهندسين الفرنسيين الذين كانوا في

(١) اصدر امره بتأسيس هذه المدينة في ٢٥ مايو سنة ١٨٠٤ . وبعد ما اتفق في تشييدها ٤٠٠.٠٠٠ جنيه (عشرة ملايين فرنك ذهب) افتتحها بنفسه في يوم ٨ اغسطس سنة ١٨٠٧ . ولكن بعد انهيار امبراطورية نابليون عاد الى المدينة اسمها القديم . وقد اقيم في احد ميادينها تمثال لنابليون .

(٢) Année 1799. Janv. 2. Belbeys. - Je m'occupe dans ce moment-ci à faire faire les opérations nécessaires pour désigner l'endroit par où l'on peut faire passer les eaux pour joindre le Nil et la mer Rouge. Cette communication a existé jadis, car j'en ai trouvé la trace en plusieurs endroits. Vie de Napoléon p. 70.

(٣) وكتب نابليون في ٢٧ فبراير سنة ١٨٠١ يقول :

"Le canal de Suez, qui joindrait les mers de l'Inde à la Méditerranée est déjà tracé : c'est un travail facile et de peu de temps qui peut produire des avantages incalculables au commerce. V. Vie de Napoléon. P. 117.

خدمة محمد علي (وهم لينان بك Linant المشرف على حفر الترعة في مصر . وجاليس بك Galice مدير إدارة . وموجل بك Mougel مدير خزانات النيل) النظر في أمر حفر القتال الا أن ظروفًا سياسية - منها معارضة إنجلترا - حالت دون تنفيذ المشروع .

٣٤- ونابليون أول من فكر في إنشاء القناطر الخيرية . ومحمد علي أخذ عن نابليون الفكرة وشرع في تنفيذها ووضع أول حجر في سنة ١٨٤٧^(١) الا أن ظروفًا مالية وفنية حالت دون اتمام المشروع بعد أن أنفق محمد علي نصف مليون جنيه^(٢) .

(١) " L'idée d'un barrage du Nil conçue par le général Bonaparte, - reçut un commencement d'exécution. (V. Mouriez P. 32.) " وقال كلوت بك :

"Napoléon avait dit, dans les notes rapidement écrites, d'après les impressions que lui avait laissées son passage en Egypte :

" Un travail que l'on entreprendra un jour sera d'établir des digues qui barrent les branches de Damiette et de Rosette au Ventre-de-la-Vache, ce qui, moyennant des bâtardeaux, permettra de laisser passer successivement toutes les eaux du Nil dans l'est et l'ouest, dès lors de doubler l'inondation. "

"Les ingénieurs employés par le vice-roi n'ont pas dû lui laisser ignorer et le projet conçu pendant l'expédition française, et les études entreprises pour en préparer l'exécution. Méhémet-Ali a été frappé de l'importance d'un travail semblable, par lequel les possesseurs de l'Egypte se rendraient maîtres absolus du Nil, c'est-à-dire auraient en leurs mains un moyen tout puissant d'obtenir du sol tout ce qu'il peut donner. V. P. 370 T.2. l'Egypte par Clot-Bey.

" Chaque portion de travail exécutée ne se trouvait pas en (٢) parfaite harmonie avec celle qui l'avait précédée, quand elle ne l'annulait pas tout à fait, et qu'en fin de compte, après avoir remué de la terre, du bois, de la pierre et des métaux, dépensé cent mille bourses et plus, Méhamet-Ali, parvenu à une lassitude complète, pressé d'ailleurs par les tristes conjonctures de la politique extérieure, se résigna à abandonner à peu près complètement le barrage. (p.104)

٣٥ - ونابليون أول من ابتكر طريقة تنظيم جيشه في حالة الدفاع بشكل مربعات (استعملها في موقعة امبابة التي انتصر فيها على المماليك ^(١)) ومحمد علي أول من أخذ عنه الطريقة نفسها واستعملها في بلاد العرب عندما حارب الوهابيين .

٣٦ - ومحمد علي أول من استعان بضباط من جيش نابليون لتنظيم الجيش المصرى منهم الكولونيل « سيف Séves » الذى أسلم وصار سليمان باشا الفرنساوى والكولونيل « فيسير Vaissières » والكولونيل « بلانا Jules Planat » الذى صار فى وقت ما رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى و« سيريزى Cérisy » الذى أنشأ ترسانة الاسكندرية وأنشأ الاسطول المصرى . كما استعان بطائفة من رجال نابليون ومن علماء فرنسا مثل مسيو بيسون Besson (وكان ضابطا في بحرية نابليون) ، ولينان باشا Linant وجاليس Galice وسولون Solon وموجيل بك Mougel Bey وكوت بك Clot Bey ولامبير Lambert وجوريل Jorelle وبيرون Perron وفرنيل Fresnel وتيودير Thibaudiere وروسيه Rousset وغيرهم وغيرهم وهم كثير .

٣٧ - ونابليون انتزع من البابا سلطته . ومحمد علي استصدر من شريف مكة فتوى بأن السلطان محمود خائناً ويستحق العزل

٣٨ - ونابليون استولى على أملاك الكنائس فى فرنسا ^(٢) ومحمد علي استولى على نصف إيرادات أوقاف الجوامع والمساجد ثم مالبث أن استولى على البقية الباقية منها . ولم يقف عند هذا الحد بل أمر بفحص جميع الاطيان الرزقة والاوقاف ثم حلها وأمر الكشاف بالاستيلاء عليها ولم يبق من الاطيان الموقوفة شيئاً على أصله .

(١) " Pour résister à la cavalerie des mamelouks, à leur manière de combattre et à leurs charges impétueuses, le général-en-chef, n'ayant pas lui-même de cavaliers, inventa le fameux carré dont l'efficacité se reconnut tout de suite. V. Bainville. P.32. "

(٢) " Napoléon avait enlevé au Saint Père une partie de ses domaines. V. Napoléon le Grand par Rosny aîné.

الى ان قال :

" Napoléon gardait les terres de l'Eglise et même en prenait de nouvelles, tellement que les Etats du Pape menaçaient d'être réduits à néant. P. 193. "

٣٩ - وأسطول نابليون حطمه الانجليز في أبي قير في أول أغسطس سنة ١٧٩٨^(١) كما حطموا له أسطولا آخر في ترافالجار Trafalgar «الطرف الأغر» في ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٠٥ ، وأسطول محمد علي حطمه الانجليز وحلفاؤهم في نافارين Navarin (اليونان) في ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٢٧^(٢) .

٤٠ - وتركيا أعلنت الحرب على نابليون لما غزا ديار مصر . وتركيا أعلنت الحرب على محمد علي لما غزا فلسطين وفتح غزة ويافا وحاصر عكا
٤١ - ورأى نابليون في بابا روما وأساقفته مثل رأى محمد علي في سلطان تركيا ووزرائه . لما اشتد الخلاف بين نابليون والبابا ورجال الدين قال :

On peut tout acheter, même le Pape et l'Eglise catholique . . .
V.P. 131. "Stein" par Grunwald.

وقد فعل^(٣)

ولما اشتد الجفاء بين محمد علي وسلطان تركيا قال :

« اني أعرف الاتراك . هم قوم يبيعون أنفسهم ان وجدوا من يشتريها . »

قال هذا لما أرادت تركيا اخراجه من مصر وتعيينه والياً على سلانك وأمرته بتسليم ولاية مصر الى خلفه موسى باشا^(٤) .

(١) وقد بلغت خسائر الفرنسيين ١٧٠٠ قتيل و ١٥٦٠ جريحاً و ٣٠٠٠ أسير أما خسائر الانجليز فكانت ٢١٨ قتيلاً و ٦٧٧ جريحاً

(٢) وقد بلغت خسائر الاسطول المصري ٨٩ سفينة كانت تحت قيادة محرم بك (زوج بنت محمد علي)

(٣) "Napoléon offrit une tiare qui fut payée à l'orfèvre

Auguste 180.000 francs ; elle était couverte de 2.636 brillants pesant 358 carats ; la croix seule en était composée de 12 brillants, de 352 roses de Hollande, de 267 rubis d'Orient, de 68 émeraudes, de 10 saphirs, de 2.174 perles."

الى ان قال المؤرخ روسنى :

"Les présents qu'il offrit au Saint-Père furent splendides; outre la tiare de 180.000 francs, il lui fit don d'une chapelle en or repoussé qui ne fut, d'ailleurs, ni terminée, ni livrée, et qu'on envoya en 1810 à Saint-Denis. Chacun des cardinaux reçut un rochet en dentelles, de la valeur de 10.000 francs ; on distribua au service d'honneur et aux domestiques 220.000 francs de diamants. Quant aux tabatières, nul ne pourrait les compter ; tout l'atelier d'Isabey était occupé à peindre en miniature le buste de l'Empereur que l'orfèvre Biennais montait sur des boites d'or, et qu'on distribuait à foison. (V. Napoléon, Croquis de l'épopée P. 97 et 107.)

(٤) راجع ماورد في صحيفة ٦ من هذا الكتاب

- ٤٢ - وانجلترا حاربت نابليون . وانجلترا حاربت محمد علي
- ٤٣ - ونابليون أول من فك زمام أطيان فرنسا ، ومحمد علي باشا أول من فك زمام أطيان مصر (أصدر أمره وهو غائب في الحجاز) .
- ٤٤ - ونابليون بونابرت أصدر في خلال سنة ١٧٩٨ في مدة احتلاله مصر جريدتين « الديكاد Décade Egyptienne و الكورييه Le Courrier d'Egypte » ، ومحمد علي باشا أصدر في مدة ولايته على مصر جريدتين « الوقائع المصرية » في ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٢٨ و « جورنال الخديوى » .
- ٤٥ - ونابليون عفا عن السيد عمر مكرم ، ومحمد علي عفا عن السيد عمر مكرم (بعد أن غضب عليه ونفاه) . كتب نابليون الى حكومته في ١٣ من شهر مارس سنة ١٧٩٩ يقول :
" J'ai pardonné aux Mamlouks et aux Kachefs que j'ai pris à El-Arych, j'ai pardonné à Omar-Makram, cheikh du Caire, j'ai été clément envers les Egyptiens . . . " V. " Bonaparte en Egypte." par Désiré Lacroix. P. 275.
- ٤٦ - ونابليون بدأ يتعلم القراءة والكتابة باللغة الانجليزية وهو في العقد الخامس من عمره « في سن ٤٥ سنة » ^(١) ومحمد علي بدأ يتعلم القراءة والكتابة باللغة العربية وهو في العقد الخامس من عمره « في سن ٤٥ سنة » . ^(٢)
-
- (١) كان معلمه لاس كازمؤرخ حياته وهو صاحب كتاب Le Mémorial de Sainte-Hélène وهو الكتاب الذى ربح مؤلفه من طبعه وإعادة طبعه ٨٠٠٠٠ جنيه
- (٢) يقول رفاعة بك في كتابه « مناهج الالباب » ان محمد علي (تعلم القراءة والكتابة في اقرب وقت وعمره ٤٥ سنة اذ ذاك جبراً لما فاتته في زمن الصغر وتداركاً لما يزيد في مجده في زمن الكبر . . .) . وقد تولت تعليمه القراءة والكتابة سيدة جركسية كانت على شيء من العلم والادب عرفت باسم أوقومش أى « الاستاذة » (أوقومش قادن افندى) وكانت هذه السيدة تود كثيراً الاميرة زينب هانم بنت محمد علي باشا صاحبة الاراضى المقام عليها فندق شبرد وسائر المباني المجاورة لها . وزينب هانم هى التى تزوجت فيما بعد بكامل باشا أحد كبار رجال الدولة العلية وقد سمي باسمه الشارع الواقع فيه فندق شبرد شارع كامل (وهو الآن شارع ابراهيم باشا) . ومن السيدات اللاتي أخذن العلم والادب عن أوقومش هذه حرم الاميرال حسن باشا الاسكندراني ويقال ان أوقومش هذه كتبت مصحفاً بخط يدها ويظن ان هذا المصحف محفوظ حتى الآن عند ورثة الامراء حليم باشا (اما الامير سعيد باشا حليم أو الامير عباس باشا حليم) . ومن تعلم لغة اجنبية على كبر : عصمت اينونو رئيس جمهورية تركيا . ومدحت باشا الصدر الاعظم . والسيد محمد جال الدين الافغانى . وسعد باشا زغلول . والامام الشيخ محمد عبده . و ابراهيم بك الهلباوى . ومصطفى باشا عبد الرازق . والعلامة انشتين صاحب نظرية النسبية تعلم اللغة الانجليزية وعمره ٦٦ سنة .

٤٧ - وكان من عادة نابليون إذا ما شغلته بعض الشواغل أن يذرع الغرفة التي هو فيها ذهاباً وحيثاً واضعاً يديه خلف ظهره . وكان محمد على مثله يذرع الغرفة التي يكون فيها واضعاً يديه خلف ظهره . (١)

٤٨ - سمي المصريون نابليون بونابرت عندما كان في مصر السلطان « الكبير » Le Sultan Kébir وسموا محمد على محمد على باشا « الكبير » (٢) .

٤٩ - وفي جبل المقطم اجتمع قصر محمد على بقلعة نابليون .

٥٠ - ونابليون كان يحب لعبة الشطرنج (٣) . ومحمد على كان يحب لعبة الشطرنج (٤)

٥١ - وفي مدة وجود نابليون في مصر - في ٢٢ أكتوبر سنة ١٧٩٩ - قامت ثورة في القاهرة عليه وعلى جنوده قتل فيها من جنود نابليون ٨٠ منهم الجنرال دوبوي Dupuis والضابط سولكوسكي Sulkoski ياور بونابرت (وهو الذي أطلقوا اسمه على الحصن الذي شيده داخل جامع الظاهر بيبرس بالعباسية) . وفي عهد ولاية محمد على قامت ثورة في القاهرة . ثار الالبانيون على محمد على وقصدوا السراي التي كان يقطنها ونهبوا

(١) "C'était du reste l'air qu'il chantait, en se promenant les deux mains derrière le dos, dans ses heures de contrariété." (V. "Napoléon. Croquis de l'épopée." par Lenôtre P. 149)

ويقول موريير عن محمد على :

"Il se tient très droit : il a souvent les mains croisées derrière le dos."

(٢) في مكتب حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدق باشا صورتان الاولى لمحمد على باشا الكبير والثانية لنابليون بونابرت وهما البطالان اللذان يعجب بهما صدق باشا بين أبطال التاريخ

(٣) حدث ان ارسل اليه شخص اسمه الفنستون Elphinston لعبة الشطرنج من بلاد الصين هدية اعترافاً بمجمل له عليه هو عنايته بأخ له جرح في معركة واترلو Waterloo وكان نابليون في منفاه بجزيرة سنت هيلانه فاعترض هودسون لو Hudson Lowe حاكم الجزيرة بحجة انه وجد منقوشاً عليها حرف « ن » . يعلوه تاج والنون اول حرف من اسم نابليون والتاج رمز كونه امبراطوراً

(٤) (راجع صحيفة ١٤١ من كتاب (محمد على) للاستاذ الايوبي ويقول مؤرخ حياته اميديه ساكريه :

"Il aime beaucoup les jeux d'échecs et de dames, dans lesquels il est assez fort. Il joue sans prétention avec des officiers de grades peu élevés, quelquefois même avec de simples soldats." V.- Amedée Sacré.

ما فيها^(١). وفي سنة ١٨١٦ سخطوا على محمد علي لما شرع في تنظيم الجيش على النمط الحديث الاوروبي فتألم الالبانيون وقرروا اغتياله. الا أن عابدين بك الذي شهد مجلس المؤامرة خدعهم وذهب سرّاً إلى محمد علي وأفتى أمر المؤامرة فاحتاط محمد علي وفشلت المؤامرة^(٢)

٥٢ - و نابليون حمل حملة شعواء على الخونة من الموظفين المرتشين وعلى المقاولين الذين يرشون . حدث أن أهدي اليه رجلاً جوادين مطهين فتسامهما ولما عرض دفع ثمنهما رفض المهدي فأمر نابليون بالقبض عليه وبجسه ستة شهور وتعريمه نصف مليون فرنك لانه عدّ الهدية رشوة . ولما حقق وجد ان طائفة من نهّازي الفرص ربحوا أرباحاً طائلة من توريد المهمات لجيوشه فالزمهم بأن يردوا الى الخزانة ٨٧ مليون فرنك وأن يردوا ما اختزنوه من المهمات والمؤن والذخائر بثلاث قيمتها وأن يضمّنوا متضامين كل عجز يظهر فيما بعد . رفض أحد أثرياء الحرب واسمه (أوفرار) رد ثمانية ملايين فرنك فقبض عليه وأودع السجن^(٣) . ومحمد علي مثله . وحكايته مع جرجس الجوهري معروفة إذ أن الجوهري كان متولى الحسبة العام فلما طالبه محمد علي بحساب خمس سنوات راوغ فالزمه برد ٤٥٠٠ كيس (٢٢٥٠٠ جنيه) . وما عمله مع المعلم جرجس الجوهري ، عمل مثله مع متولى الحسبة في الأقاليم ، وألزمهم برد أموال كثيرة .

٥٣ - وابن نابليون بقي في فيينا عاصمة النمسا معتقلاً لا يغادرها من سنة ١٨١٥ الى

“ Méhémet-Ali avait bien prévu que telle serait l'issue de (١) la tourmente : son palais fut le premier attaqué ; les gardes qu'il y avait laissés répondirent pendant un instant au feu de l'assaillant, quelques hommes furent tués de part et d'autre ; puis les Albanaï forcèrent les portes, et mirent tout à sec. ” (p. 162)

(٢) راجع تفصيل هذه المؤامرة في الجبرتي عن حوادث ٢٥ شعبان سنة ١٢٣١ هـ

“ Un certain Thévenin offre en cadeau à Bonaparte de (٣) beaux chevaux que le général a retenu, mais dont le prévaricateur ne veut pas accepter le prix. Faites- le arrêter et retenir six mois en prison, écrit-il, il peut payer 500.000 francs. V. “Napoléon.” par Rosny. P. 69.

وقال المؤرخ لينوتر : Lenôtre

“ Il faut lire ces pages émouvantes où l'empereur, comme un dieu armé de la foudre, contraint les profiteurs de guerre à restituer au trésor 87 millions, à livrer tous leurs approvisionnements pour le tiers de leur valeur et à se reconnaître solidairement garants du surplus du déficit. V. “ En Suivant l'Empereur. ” par Lenôtre. P. 40.

أن توفي في ٢٢ يولييه سنة ١٨٣٢ - وابن محمد علي (ابراهيم) بقي في استانبول عاصمة تركيا مدة سنة رهينة otage حتى يدفع والده ٤٥٠٠ كيس (٢٠٠٠ ر. جنيه) كان تعهد بدفعها مقابل تثبيته في الولاية على مصر.

٥٤ - ونابليون أنشأ في فرنسا محاكم مختلطة تحكم في المسائل المدنية وفي المسائل الجنائية (١). ومحمد علي أنشأ في مصر وفي الاسكندرية محاكم مختلطة تفصل في المنازعات التي تقوم بين المصريين والأجانب (وقد عاوناه في انشائها وزيره أرتين بك والد يعقوب باشا أرتين الذي كان وكيل نظارة المعارف في عهد الخديوي عباس).

٥٥ - عرضت الدول المتحالفة على أوجين (ابن جوزيفين زوجة نابليون وأحد كبار أنصار نابليون) عرش إيطاليا إذا تخلى عن نابليون وانضم إلى الحلفاء فرفض. وعرضت الدول المتحالفة نفسها على سليمان باشا الفرنسي أحد كبار أنصار محمد علي عرش جزيرة قبرص يتوارثه ابناؤه وولاية سوريا مدى الحياة ومكافأة ١٠٠٠ ر. جنيه ولقب أمير إذا تخلى عن محمد علي وانضم إلى الحلفاء فرفض.

٥٦ - ونابليون بطش بأعدائه أنصار الملوكة فشنق ١٢ وقتل بالكثيرين وقبض على دوق دانجين (من سلالة ملوك فرنسا) وحاكمه وأعدمه في أقل من ٢٤ ساعة. ومحمد علي بطش بالماليك وقتل منهم ٤٥٠ وقتل بالباقيين (٢) وذلك في أول مارس

(١) "Pour en finir plus vite, il créa des tribunaux mixtes,

mi-civils, mi-militaires, qui reçurent l'ordre d'y aller rondement. Leurs jugements étaient sans appel. Ces tribunaux firent de la bonne besogne. La terreur régna, que Bonaparte voulait éphémère, mais efficace." V. "Napoléon" par Rosny. P. 132

(١) يقول بعض المؤرخين — مثل دريو — ان عدد من قتل يبلغ ٨٠٠ منهم ٢٥ من البكوات - كان يزعمهم چاهين بك - و ٦٠ كاشفاً. وقد نهب المسكر ١٢٠ بيتاً من بيوت الممالك وقد قدرت قيمة ما سلب بمبلغ ١٠٠٠٠٠٠ ر. جنيه. الا ان محمد علي لاظهار سخطه على من اثار هذا الشعب امر باعدام ٢٠ منهم رميا بالرصاص

ولهذه المذبحة سوابق في التاريخ منها :

— مذبحة العساكر الانكشارية في الاستانة بأمر السلطان محمود .

— ومذبحة الستريتز Strélitz بأمر بطرس الاكبر قيصر روسيا . والاستريتز جنود عددهم

١٢٠٠٠٠ مثلهم كان قتل الجنود الانكشارية طفوا وبنوا حتى اصبح لهم كل حول وكل طول

سنة ١٨١١ على أثر حفلة تسليم ابنه طوسون قيادة الجيش المصرى الذى سافر الى بلاد العرب لقمع ثورة الوهابيين .

٥٧ - و نابليون جيشت حكومة النمسا ضده أربعة جيوش جرارة فى خلال ستة شهور فهزمها كلها شر هزيمة . ومحمد على جيش السلطان محمود ضده أربعة جيوش جرارة هزمها كلها شر هزيمة فى مشارف سوريا وبطاح الأناضول (١) .

٥٨ - و نابليون دخل روما عاصمة المسيحية غازياً وزوجته جوزيفين دخلتها من بعده فى يولييه سنة ١٧٩٦ وعلى رأسها هالة من العظمة والجلال . ومحمد على دخل مكة عاصمة

وكانوا يعارضون فى كل اصلاح يريد القيصر ادخاله فى نظام الحكم فى روسيا فلما ضاق بطرس الاكبر منهم ذرعاً فتك بهم وأفناهم عن آخرهم .

— ومنبجة سان برتلى Saint-Barthélémy . ومحصلها انه فى زمن شارل التاسع ملك فرنسا امر الملك فى ٢٤ اغسطس سنة ١٥٧٢ بقتل جميع البروتستانت .

— ومنبجة ليالى صقلية Vêpres siciliennes . ذلك ان الفرنسيين ارادوا فى سنة ١٢٠٢ احتلال جزيرة صقلية . ولتكن احتلالهم لهذه الجزيرة استعملوا منتهى القسوة مع الاهالى وفرضوا عليهم ضرائب فادحة وعاملوهم بكل شدة فتار الاهالى على الفرنسيين وقتكواهم قتلا وذبحاً ولم ينج منهم الا اثنان فقط .

— ومنبجة فيرونا Pâques véronaises . فى ١٦ ابريل سنة ١٧٩٧ وفى ثانى يوم عيد الفصح تار اهالى فيرونا على الفرنسيين الذين كانوا احتلوا هذه المدينة وذبحوهم عن آخرهم .
— ومنبجة يوم الجمعة الحزينة فى البانيا Le Vendredi-Saint albanais . وهو اليوم الذى غدر فيه جيش موسولينى بأهالى البانيا عندما غزاها بدون ان يشهر عليها الحرب وكانت الملكة جيرالدين زوجة الملك احمد زوجو قد وضعت حديثاً .

— ويوم ١٥ اغسطس اليونانى ، ويسمونه le Quinze-Août hellénique . وهو اليوم الذى اغرقت فيه غواصة ايطالية السفينة اليونانية «هيلاتا» بدون ان يكون بين ايطاليا واليونان حرب ففرق جميع ركاب الباخرة وكانوا يعدون بالمائين ،

(١) الجيش الاول كان بقيادة عثمان باشا والى حلب هزمه الجيش المصرى فى ١٤ يولييه سنة ١٨٣٢ والجيش الثانى بقيادة محمد باشا هزمه الجيش المصرى فى حمص (٨ يولييه سنة ١٨٣٢) . والجيش الثالث بقيادة حسين باشا هزمه الجيش المصرى فى بيلان (٣٠ يولييه سنة ١٨٣٢) . والجيش الرابع بقيادة رشيد باشا (٦٠٠٠٠ تركى) هزمه الجيش المصرى فى قونية (فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٣٢) واسر قائده رشيد باشا (وكان عدد الجيش المصرى ٣٠ الف) . وفى خلال سنة ١٨٣٩ — أى بعد سبع سنوات من الوقائع السابقة — جرد السلطان محمود جيشاً خامساً تحت قيادة حافظ باشا هزمه الجيش المصرى فى ٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩ وهى واقعة نزيب .

الاسلام غازياً (في ٦ أكتوبر سنة ١٨١٣)^(١) وزوجته أمنيته هائم دخلتها من بعده في رمضان سنة ١٢١٤ وعلى رأسها هالة من العظمة والجلال (وسماها اهالى الحجاز ملكة النيل) ٥٩ - و نابليون نازل أعداءه في ٦٠ موقعة^(٢) في فرنسا وفي إيطاليا وفي النمسا وفي ألمانيا وفي روسيا وفي بروسيا وفي بلجيكا وفي فلسطين وفي مصر . ومحمد علي نازل أعداءه في مثلها في مصر وفي بلاد الحجاز واليمن وفي السودان وفي بلاد اليونان وفي فلسطين وفي سوريا والناضول .

٦٠ - وانجلترا هي التي تزعمت دول أوروبا للحد من أطماع وآمال نابليون . وانجلترا هي التي تزعمت دول أوروبا للحد من أطماع وآمال محمد علي .

٦١ - وجرى لمحمد علي مع الانجليز ماجرى لنابليون من قبل . ذلك انه بعد أن حطم الانجليز الاسطول الفرنسي في أبي قير وبعد أن فشل بوناپرت في فتح عكا وبعد أن قطعت المواصلات بين فرنسا ومصر ، وبعد أن تقص عدد جنود الحملة الفرنسية من ٣٠.٠٠٠ الى ١٥.٠٠٠ فكر الجنرال كليبر Kléber - الذي خلف الجنرال بوناپرت - في مفاوضة الانجليز والترك للجلاء عن مصر وبالفعل أمضى نائب قائد الحملة الفرنسية مع الانجليز والترك اتفاق الجلاء في العريش في ٢٤ يناير سنة ١٨٠٠ ونفذ معظم شروط الجلاء بالفعل فأخلى كثيراً من المدن وسلم الترك ما سلم . الا أنه بعد الجلاء الجزئي وبعد تسليم بعض المواقع ورد للجنرال كليبر خطاب من الاميرال الانجليزى كيث Keith فيه يخبره بأنه لا يصادق على اتفاق العريش الذي أمضاه الكومودور سيدنى سميث Sidney Smith باسم الحكومة الانجليزية وشرط أن يكون التسليم بلا قيد ولا شرط . هاج الجنرال كليبر على هذا الغدر وصمم على القتال وقال كلمته المشهورة :

(١) في فرمان رجب سنة ١٢٢٩ (سنة ١٨١٣) لقبه السلطان لأول مرة (بالهاج) محمد علي باشا . اما السلطان محمود فلقب نفسه (بالغازى) مع ان الذى غزا الحجاز واستولى على مكة هو محمد علي

(٢) " La guerre est un singulier art. Je vous assure que j'ai livré soixante batailles ; eh bien, je n'ai rien appris que je ne susse dès la première." V. Rosebery. P. 239.

“Soldats! On ne répond à de telles insolences que par la victoire : Préparez-vous à comdatre.”

وفي يوم ٢٠ مارس التقى الجيش الفرنساوى بالجيش التركى الذي كان تحت قيادة يوسف باشا الصدر الأعظم فى هليوبوليس ^(١) والتحم الفريقان وانتهت الموقعة بهزيمة الجيش التركى وانتصار الجيش الفرنساوى مع ان عدد جنود الجيش الفرنساوى كان ١٠ر٠٠٠ وعدد جنود الجيش التركى كان ٨٠ر٠٠٠

أما محمد على فبعد أن قبل الجلاء عن سوريا وقبل رد الاسطول التركى الى الباب العالى مقابل تخويله ملك مصر الوراثى بضمانة الدول وبعد أن تم هذا الاتفاق ووقع عليه الكومودور نابيه Napier نائباً عن الجانب الانجليزى ووقع عليه بوغوص بك يوسف وزير الخارجية نائباً عن محمد على وذلك فى ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٤٠ وإذا خطاب يرد الى محمد على من الاميرال ستوبفور Stopford قائد القوات الانجليزية يرفض الاعتراف بهذا الاتفاق بحجة ان الكومودور نابيه جاوز اختصاصه ولا يملك عقده وأيده فى هذا الرد السلطان الذى أصر على تنفيذ فرمان عزل محمد على كما أيده لورد بونسومبى Ponsomby سفير انجلترا فى الاستانة الذى أعلن بطلانه .

٦٢ - ونابليون وهو فرنساوى ثار على ملك فرنسا وغضب ملكه . ومحمد على وهو تركى ثار على سلطان تركيا وغضب ملكه .

٦٣ - ونابليون حاصر عكا ٦٢ يوماً فى خلال سنة ١٧٩٩ وفشل ^(٢) . وابراهيم باشا ابن محمد على حاصر عكا ستة شهور فى خلال سنة ١٨٣٢ ونجح . (سقطت عكا فى ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢)

(١) تذكرنى واقعة عين شمس هذه — واقعة ٢٠ مارس سنة ١٨٠٠ — بواقعة أخرى وقعت فى عين شمس نفسها فى شهر يوليه سنة ٦٤٠ ميلادية — أى قبل الواقعة الاولى بألف ومائة وستين سنة يفصلها كثير من المؤرخين . ذلك ان عمرو بن العاص لما غزا مصر ووصل الى عين شمس قاتل الروم . وكان جيش عمرو يبلغ ١٥ر٠٠٠ مقاتل وجيش الروم ٣٠٠٠٠ وقد انتصر عمرو على تيودور قائد الروم انتصاراً ميبناً سهّل له فتح مصر كلها .

(٢) لهد اسمها المؤرخون الافرنج La Pucelle — البكر او العذراء — وقلعة عكا قلعة حصينة استولى عليها بطليموس ملك مصر وسماها باسمه Ptolémaïs

٦٤ - ولما حاصر نابليون بونابرت عكا في سنة ١٧٩٩ نصب خيمته على بعد بضعة كيلو مترات من قلعة عكا . ولما حاصر جيش محمد علي عكا في سنة ١٨٣١ نصب ابنه ابراهيم باشا خيمته في نفس الموقع الذي كانت منصوبة فيه خيمة نابليون بونابرت من قبل باثنتين وثلاثين سنة . وقد زرتُ موقع الخيمتين فهاجت في ذكرى هاتين الحادثتين التاريخيتين .

٦٥ - وجيوش نابليون هزمت الترك عند جبل تابور عندما كان يحاصر عكا ، و جيوش محمد علي هزمت الترك عند جبل تابور عندما كان يحاصر عكا (١)

٦٦ - فكر نابليون إذا ما قبض له الاستيلاء على قلعة عكا أن يزحف على سوريا ولبنان والاناضول ومنها يواصل زحفه (٢) الى أن يصل الى القسطنطينية فيخلع السلطان وينشئ امبراطورية يتولاها هو . وفكر محمد علي بعدما غزا جيشه فلسطين وسوريا ولبنان والاناضول ووصل الى كوتاهية أن يواصل الزحف الى عاصمة السلطنة فيخلع السلطان محمود ويجلس هو على عرش آل عثمان

٦٧ - ومن المصادفات انه كان بين الاشخاص الذين وقعوا أسرى مع عبد الله باشا والى عكا في ايدي الجيش المصري خورشيد بك . وخورشيد بك هو نفسه الذي اشترك مع احمد باشا الجزائر في الدفاع عن عكا عندما حاصرها نابليون ثم اشترك مع عبد الله باشا والى عكا عندما حاصرها ابراهيم باشا . وفق في الحصار الأول وفشل في الحصار الثاني .

٦٨ - أسس نابليون أول بنك في فرنسا في ١٨ يناير سنة ١٨٠٠ (بدأ رأسأله

(٢) هو جبل « التجلى » ويبعد ستة اميال عن الناصرة Nazareth وعشرة من بحيرة طبرية ويشرف على مرج ابن عُمير .

(٣) كتب في ٩ مايو سنة ١٧٩٩ يقول انه اذا فتح عكا زحف على دمشق وحلب وجيش من اهلها جيشاً يزحف به الى القسطنطينية وها ما كتبه :

“Année 1799. Mai 9. - J'arrive à Constantinople avec des masses armées ; je renverse l'empire turc ; je fonde dans l'Orient un nouvel et grand empire.” V. “Vie de Napoléon.” P. 77.

مبلغ ٣٠ مليوناً من الفرنكات) . وأسس محمد على باشا أول بنك في مصر (ونصب مديراً له مسيو توسيزا (١) .

٦٩ - ونابليون لم يعقد قرضاً مع كثره حروبه (٢) - محمد على لم يعقد قرضاً مع كثره حروبه (٣) .

٧٠ - ونابليون أصدر في ٢٩ مارس سنة ١٨١٥ أمراً الى المارشال دافو Davout بأبطال رق العبيد . ومحمد على باشا لما زار السودان في خلال سنة ١٨٣٨ ووصل الى الخرطوم أصدر أمراً الى خورشيد باشا حاكم السودان بأبطال رق العبيد .

٧١ - ونابليون أدخل زراعة القطن في فرنسا (في جنوب فرنسا وفي جزيرة كورسيكا وفي ايطاليا) . ووسع زراعة القطن لدرجة سدّت حاجة البلاد الواقعة بين مقاطعة نورمانديا بشمال فرنسا وبلاد الازراس في شرق فرنسا . ومحمد على أدخل زراعة القطن في مصر وتوسيع زراعته استحضّر بذوراً من سيلان وكان اهتمام محمد على بزراعة القطن على أثر اكتشاف أحد الفرنسيين Jumel لأول شجرة في جنينة محو بك .

٧٢ - ونابليون لما احتل جزيرة مالطة - وهو قادم الى مصر لغزوها في خلال سنة ١٧٩٨ - أعتق ٢٠٠٠ من المسلمين الذين وقعوا أسرى في أيدي القرصان واسترقهم فرسان الجزيرة واستعبدوهم كان منهم رجال ونساء وأطفال من أهالي طرابلس والجزائر وتونس ومراكش ومنهم من دمشق ومن أزمير ومن استانبول ، ولم يكتف بأن أعتقهم ، بل أتحف كل واحد منهم بمبلغ من المال ليساعده على العودة الى بلاده .

(١) جاء في كتاب الاستاذ كريم بك ثابت عن « محمد على » صحيفة ٢٩١ حديث جرى بين البرنس بوكار موسكو ومحمد على هاك نصه (وفي ذات يوم التفت اليه وقال له « هل تعلم ماذا امضيت الآن » فأجابه بوكار « لا يا صاحب السمو » فقال محمد على « امضيت امراً بانشاء بنك في القاهرة يسلف بفائدة قدرها ١٢ ٪ »

(٢) “Pas de dettes, pas d'emprunts; telle avait été jusqu'alors sa ligne de conduite qu'il était fermement résolu à suivre.” V. “En suivant l'Empereur.” par G. Lenôtre P. 33 et Rosebery p. 286.

(٣) اول قرض دولي عقدته مصر كان في خلال سنة ١٨٦٢ في عهد سميد باشا وكان بمبلغ ٨٣ مليون فرنك عبارة عن ٣٢٩٢٠٠٠ جنيه بفائدة ٧ ٪ .

بعد أن كسأهم وأمدهم بالميرة . ومحمد على باشا لما زار السودان في خلال سنة ١٨٣٨ أعتق آلافاً من الرجال والنساء والأطفال الذين استرقهم النخاسون وباعوهم في الاسواق بيع السراح .

٧٣ - ونابليون وجد فرنسا في حالة فوضى لم تعرف فرنسا مثلاً من قبل ^(١) . فوضى في الادارة وفي المالية وفي القضاء وفي الجندية وفي السياسة الخارجية ومشاكل مع الانجليز والايطاليين والنمساويين والهولنديين . ومحمد على وجد مصر في حالة فوضى لم تعرف مثلاً من قبل ^(٢) . فوضى في الادارة وفي المالية وفي القضاء وفي

(١) " On sait dans quel état de dégradation, le Directoire avait laissé la France; les ports étant ensablés, les chemins rompus, les canaux sans entretien, l'industrie et le commerce sombrent : ateliers désertés, boutiques fermées et, les sillons abandonnés, la terre retournant en jachères. Les hôpitaux sont dans la misère, il n'y a pas d'écoles" V. "La France de l'Empire" par Madelin. P. 82.

الى ان قال :

" Tout, depuis dix ans, y est révolutions, dissensions, déchirements ; tout, depuis cinq ans surtout, y est dissolution et anarchie ; tout y est désordre.

" Désordre dans l'Etat, désordre dans le gouvernement, désordre dans les administrations, désordre dans la fortune publique, désordre dans les administrations, désordre à Paris, désordre dans les provinces, désordre dans tous les bourgs, désordre dans les routes, désordre dans l'armée, désordre dans l'Eglise, désordre dans la société, désordre dans la famille, désordre dans le monde politique." - P. 6 et 7 - du même auteur.

(٢) قال دريو المؤرخ الشهير في كتابه « مختصر تاريخ مصر » صحيفة ١٨٧ :

" L'Egypte avait en vérité disparu de l'histoire, rejetée dans un coin de la Méditerranée, livrée à l'anarchie et à la misère, et ainsi presque rendue au désert, au néant. L'Egypte n'était plus au sultan, elle était aux beys. Il serait sans doute impossible de concevoir un régime plus ruineux que celui des beys de l'Egypte à la fin du XVIIIe siècle. Voir "Précis de l'Histoire d'Egypte" par Edouard Driault P. 187.

الى ان قال :

"Les travaux nécessaires à sa fortune agricole, à son alimentation même, tous interrompus; les canaux d'irrigation obstrués; les inondations du Nil mal distribuées, excessives ou insuffisantes; le sable descendu jusque dans le fleuve; un quart ou un tiers du Delta reconquis par le désert; 5000 habitants à Alexandrie qui en avait compté plusieurs centaines de milliers; - les caravanes partout arrêtées, pillées, donc détournées vers d'autres routes. La plus riche terre du monde devenue la plus stérile." (Voir P. 191 et 192)

الجنديّة وفي السياسة الخارجيّة ومشاكل وقتن مع المالك والانجليز والترك والارناوود والأكراد والشراكسة والبدو^(١) .

٧٤- نابليون كان رجل بناء وإصلاح وتعمير ، عم الإصلاح والتعمير والبناء امبراطور يته الواسعة . واعظم عمل كان يفتخر به نابليون وضعه « القانون المدني »^(٢) ومحمد علي مثله بنى وأصلح وعمر وعم الإصلاح والتعمير والبناء ديار مصر من أقصاها جنوباً الى أقصاها شمالاً .

في اليوميات التي أملاها نابليون وهو في منفاه في جزيرة سنت هيلانة عدد الاعمال العظيمة التي نفذها في مدة حكمه في فرنسا وفي بلجيكا وفي هولاندا وفي ايطاليا وفي النمسا وفي ألمانيا . وذكر المبالغ الهائلة التي أنفقها في تحسين باريس وروما وليون وأنفيس ودينكرك والهافر ونيس والبندقية وبوردو وبايون وعدد الطرق التي أنشأها والسكناس التي شيدها والأنهر التي شقها والقوانين التي سننها والمتاحف والمدارس والمعاهد العلمية^(٣) والأرصدة والمجاري والتماثيل وبنك فرنسا الذي أسسه والمصانع والصناعات التي خلقها . قال انه أنفق ٥٠ مليون فرنك (٢٠٠٠٠٠٠ مليون جنيه ذهباً) لترميم وتحسين قصور التاج الامبراطوري . و٦٠ مليوناً لتأثيث قصور فرنسا

(١) وهذه الفوضى هي التي اوجت الى نابليون كلمته المشهورة :

” L'Orient n'attend qu'un homme “ فكان محمد علي هو الذي قيضه الله لمصر

(٢) كتب في ٣ مارس سنة ١٨١٧ :

” J'ai livré cinquante batailles rangées que j'ai presque toutes gagnées. J'ai créé un code de lois qui portera mon nom aux siècles les plus reculés. Je me suis élevé de rien à être le plus grand monarque de monde. L'Europe était à mes pieds.”

وفي ٢٧ نوفمبر سنة ١٨١٥ كتب وهو في منفاه :

” Mon seul Code, par sa simplicité, a fait plus de bien en France que la masse de toutes les lois qui l'ont précédé.”

ثم كتب في ٢٢ اكتوبر سنة ١٨٠٨ يقول :

” Année 1808. Oct. 22. - Les codes civil, judiciaire et de commerce ont réussi. Le code criminel va être soumis dans cette session au Corps législatif. Le code civil est le code du siècle; la tolérance y est non seulement prêchée, mais organisée, la tolérance, ce premier bien de l'homme.”- P. 234.

(٣) اليس المجمع العلمي المصري الذي أسسه عندما كان في مصر ولا يزال قائماً حتى الآن من حسناته الخالدة . اليس هو الذي فكر في حفر قناة السويس وفي إقامة القناطر الخيرية (في بطن البقرة) .

وهولاندا وتورينو وروما . ٦٠ مليوناً من ماله الخاص ثمن برلتي التاج الامبراطوري .
و ٣ ملايين أفتك بها الماسة الكبيرة الشهيرة المسماة Le Régent وكان يهود برلين
ارتهنوها على هذا المبلغ الكبير . ومتحف نابليون وقد قُومَ بمبلغ ٤٠٠ مليون فرنك
(١٦٠٠٠٠٠٠٠٠ ر. جنيه) وعمل احواض للسفن وأنشأ طرقاً كلفته ٨٠٠٠٠٠٠٠٠ ر. فرنك
(٣٢٠٠٠٠٠٠٠٠ ر. جنيه) ويقول انه عمل كل هذا بدون أن يستدين وفي وقت
كانت امبراطوريته مشتبكة في حروب كثيرة مع دول أوروبا ^(١)

Année 1816. Sept. 29. — “ Vous voulez connaître les (١)
trésors de Napoléon ? Ils sont immenses, il est vrai ; mais ils sont exposés
au grand jour. Les voici : le beau bassin d'Anvers, celui de Flessingue,
capables de contenir les plus nombreuses escadres et de les préserver
des glaces de la mer ; les ouvrages hydrauliques de Dunkerque, du
Havre, de Nice ; le gigantesque bassin de Cherbourg ; les ouvrages
maritimes de Venise ; les belles routes d'Anvers à Amsterdam, de Mayence
à Metz, de Bordeaux à Bayonne ; les passages du Simplon, du Mont-Cenis,
du Mont-Genèvre, de la Corniche, qui ouvrent les Alpes dans quatre
directions ; dans cela seul vous trouveriez plus de huit cent millions.

“ Les routes des Pyrénées aux Alpes, de Parme à la Spezzia, de
Savoie au Piémont ; les ponts d'Iéna, d'Austerlitz, des Arts, de Tours,
de Lyon, de Turin, de l'Isère, de la Durance, de Bordeaux, de Rouen ;
le canal qui joint le Rhin au Rhône, unissant les mers de Hollande avec
la Méditerranée ; celui qui unit l'Escaut à la Somme, joignant Amsterdam
à Paris ; celui qui joint la Rance à la Vilaine ; le canal d'Arles, celui de
Pavie, celui du Rhin ; le desséchement des marais de Bourgoing, du
Cotentin, de Rochefort ; le rétablissement de la plupart des églises
démolies pendant la Révolution, l'élévation de nouvelles ; la construction
d'un grand nombre d'établissements d'industrie pour l'extirpation de la
mendicité ; la construction du Louvre, des greniers publics, de la Banque,
du canal de l'Ourcq ; la distribution des eaux dans la ville de Paris, les
nombreux égouts, les quais, les embellissements et les monuments de
cette grande capitale ; les travaux pour l'embellissement de Rome ;
le rétablissement des manufactures de Lyon. Cinquante millions employés
à réparer et à embellir les palais de la couronne ; soixante millions
d'ameublements placés dans les palais de la couronne en France, en
Hollande, à Turin, à Rome ; soixante millions de diamants de la couronne,
tous achetés avec l'argent de Napoléon ; le Régent même, le seul qui restât
des anciens diamants de la couronne de France, ayant été retiré des mains

وهو الذي شيد في باريس قوس النصر الشهير l'Arc de Triomphe رمزاً لمجد فرنسا. كما اقام عمود فاندوم La Colonne Vendôme ولصنعه صب ١٢٠٠ مدفع غنمها في اثناء الحروب التي اشتبك فيها في خلال سنة ١٨٠٥. وهو الذي شيد كنيسة المادلين الشهيرة التي تعد من أجل كنائس باريس، وهو الذي أسس وشيد مبنى « البورصة »^(١). وما ابلغ ما قاله المؤرخ مادلين Madelin في كتابه La France de l'Empire في صحيفة ١٥٧ :

“ Il a laissé en réalité des enfants innombrables et qui, plus que ne l'eut fait sa dynastie sans doute, lui ont survécu. Ces enfants, ils s'appellent le Code civil, la Banque de France, l'Université, le Concordat, la Légion d'honneur, le Conseil d'Etat, les Cours et Tribunaux; les Préfectures, toute cette administration qui a servi, pendant cent vingt-cinq ans, d'armature à la France. Oui, voilà les enfants qui assurent, parmi nous, son règne et qui, dans les périodes les plus troubles et les plus menaçantes, pendant les révolutions et les guerres, en dépit de gouvernants médiocres et parfois tout à fait néfastes, ont maintenu en pleins bouleversements politiques, sociaux, économiques et financiers, un peu du grand ordre napoléonien.

“ Ses enfants enfin, ce sont ses victoires, ” Voir “ La France de l'Empire. par Louis Madelin. P. 157.

وأعمال محمد على لا يحصيا عدّ. بنى وأنشأ وأسس مساجد ومدارس وقصوراً وثكنات ومصانع ومطابع وقناطر ومنائر وخطوطاً تلغرافية وطواحين هوائية وحفر ترعاً وأقام جسوراً وسدوداً كثيرة. كما بنى وأسس مدناً نذكر طائفة منها :

- أنشأ أربع ثكنات عسكرية في أسوان .

- أنشأ أربع ترسانات « دار صناعة » في اسكندرية وفي بولاق وفي السويس وفي الخرطوم (وما حوته من الورش والمباني مع حوض لترميم السفن) .

des juifs de Berlin auxquels il avait été engagé pour trois millions; le Musée Napoléon estimé à plus de quatre cents millions.

“Voilà les monuments qui confondront la calomnie.

“L'histoire dira que tout cela fut accompli au milieu de guerres continuelles, sans aucun emprunt, et même lorsque la dette publique diminuait tous les jours.” V. “ La Vie de Napoléon.” par lui-même. P. 383 et 384

“ On lui doit la Madeleine, la Bourse, L'Arc de Triomphe, (١) et des voies magnifiques. V. “Napoléon” par Rosny. P. 130 et 131

- أنشأ ثلاث مصانع للأسلحة الخفيفة بالقلعة والقرب من القلعة وخارج القلعة. عاونه في تأسيسها فرنساوى اسمه جيو مين Guillemain مراقب بمصانع فرساى Versailles
- أنشأ مصانع البارود فى مصر وفى أسيوط .
- حث على غرس ملايين من شجر التوت وجلب عائلات من لبنان لتعليم المصريين تربية دوة القز .
- أنشأ مصانع للطرايش فى فوة .
- أنشأ مصانع للغزل والنسيج فى الخرنفش ، وفابريقات للكتان والجوخ فى بولاق . والصوف والحرير ، ومعملا لسبك الحديد ، ومصنع ألواح النحاس . ومصنعاً للصابون ودينج الجلود برشيد . ومصنعاً لحليج القطن على ضفة المحمودية عاونه فيها الميسو اندرييل الفرنساوى Andriel
- شيد حصناً على قمة جبل المقطم وهو حصن ملحق بقلعة الجبل .
- بنى مسجد محمد على بالقلعة .
- بنى مسجد النبي دانيال بالاسكندرية ومدفنًا بجواره (مدفن العائلة المالكة)
- بنى سبيل العقادين بالقاهرة على روح ابنه طوسون باشا . وقد أنشأه فى سنة ١٢٣٦ من الهجرة (١٨٢١ ميلادية) .
- بنى قصر محمد على بالقلعة (قصر الجوهرة) .
- بنى قصر محمد على بشبرا الخيمة (الباقي منه الآن البناء المعروف بالفسقية) .
- بنى قصر رأس التين بشجر الاسكندرية .
- وبنى سراى قصر النيل .
- أسس المدرسة المصرية بباريس .
- أسس مدرسة الطب البشرى ^(١) والمستشفى العسكرى ومدرسة ولادة
- بأبي زعبل عن يد كلوت بك .

(١) علم الجراحة كان عدماً فى ذلك العهد وها ما قاله المؤرخ موريز :
 " Ibrahim-Pacha, qui se trouvait alors en Syrie avec l'armée, renvoya les élèves chirurgiens qu'on lui avait mandés, pour la raison, écrivait-il, qu'ils estropiaient tous les blessés confiés à leurs soins."

- فتح مدرسة للولادة .
- أدخل نظام التطعيم ضد الجدري .
- أسس مدرسة الطب البيطرى برشيد ثم بشبرا عن يد مسيو هامون .
- أنشأ مدرسة المشاة فى أسوان ومدرسة أخرى مثلها فى فرشوط ومدرسة ثالثة فى دمياط عاونه فى تأسيسها الكولونيل سيف (سليمان باشا الفرنساوى) يعاونه اثنان من الضباط الفرنسيين هما الكولونيل ماري Mary والضابط كادو Cadeau
- أنشأ مدرسة للخيلة بالجيزة فى سنة ١٨٣٠ عاونه فى إنشائها المسيو Varin .
- أنشأ مدرسة المدفعية فى طره عاونه فى تنظيمها وفى تأسيسها أحد ضباط حرس نابليون المسيو جوتار Gouthard du Veneur والميرالاي Roy أرسله الى مصر ملك فرنسا شارل العاشر فى خلال سنة ١٨٢٥ .
- أنشأ مدرسة أركان حرب بالخانكة فى سنة ١٨٢٤ نظمها المسيو بلانا Planat .
- أسس مدرسة الزراعة بنبروه ثم بشبرا .
- أسس فى خلال سنة ١٨٢٥ المدرسة البحرية باسكندرية .
- أسس مدرسة موسيقى بالخانكة .
- أسس مدرسة الهندسة ببولاق (١) .
- أسس مدينة الخرطوم ومدينة كسلا .
- أسس بلدة جهاد آباد (بين الخانكة وأبي زعبل) .
- أسس منار الاسكندرية (الذى أشرف على إنشائه مظهر باشا) .
- أسس منارات (تشبه منارات البحرية) على قمم الجبال من قفط الى القصير لترشد القوافل وركب الحجيج ليصلوا الى شاطئ البحر بسلام .
- أنشأ خطاً تلغرافياً ليوصل القاهرة بغير الاسكندرية . كما مد خطاً تلغرافياً بين الاسكندرية ورودس .

(١) فى اول عهد محمد على بالحكم ما كان فى البلاد كلها مدرسة واحدة لا للطب ولا للهندسة ولا للزراعة ولا للطبيعة ولا للكيمياء ولا للتاريخ ولا للجغرافيا ولا للرياضة ولا للترجمة .

- أسس القناطر الخيرية .
- أسس مطبعة بولاق .
- استدعى صنّاعاً من أوروبا لتعليم المصريين صنع الأقمشة من الجوخ والخزير والقطن وجلب آلات كثيرة لتسهيل صنعها^(١) .
- استدعى ضباطاً من فرنسا ومن إيطاليا ومن النمسا لتنظيم أول نواة لجيشه النظامي .
- حفر ترعة المحمودية وشق ترعا غيرها مثل ترعة الخطاطبة والنعناعية والسرساوية والباجورية والبوهية والمنصورية والشرقاوية وأقام الجسور والقناطر والسدود المنتشرة في أنحاء القطر (ومن أراد المزيد فليراجع الجزء التاسع عشر من كتاب «الخطط الجديدة» لعلی باشا مبارك) وكتباً غيره مثل كتاب الاستاذ الجليل عبد الرحمن بك الرافعي «محمد علي» .
- والفضل أكبر الفضل لمحمد علي باشا في إنشاء الجيش المصري (وفي وقت ما بلغ عدد جنوده ٢٠٠.٠٠٠) والأسطول المصري (وفي وقت ما بلغ عدد البحارة ٢٠.٠٠٠) وكان محمد علي وابنه ابراهيم يتعهدان اعمال الترسانة بهمة لا تعرف الملل^(٢)

(١)

“Le vice-roi a fondé un très grand nombre de fabriques; des filatures de coton, des fabriques de toiles, de lin, d'indiennes, de draps, de tissus, de laine, de bonnets et d'étoffes de soie, des fonderies de fer, des manufactures d'armes, etc.” V. Clot Bey P. 222

“Il faut avouer aussi que le Pacha, s'il ne put, à l'exemple (٢) du czar Pierre le Grand, mettre habit bas et donner le premier à son peuple l'exemple du travail, ne ménagea cependant pas le stimulant de sa présence, de ses encouragements et de sa sévérité. Son plus grand plaisir était de passer de longues heures sur les chantiers.”

“Son fils Ibrahim-Pacha passait les journées entières à l'arsenal, et s'y faisait même porter ses repas, qu'il partageait avec l'ingénieur français le forçant à s'asseoir à côté de lui.” V. Clot Bey P. 126

وشملت عنايته التعليم (فأرسل ارساليات الى فرنسا وإيطاليا)^(١) . كما شملت عنايته الزراعة . والتجارة . والصناعة . والأمن^(٢) . وهو الذى أدخل زراعة القطن فى مصر واستحضر بذوره من سيلان^(٣) . وقد عاونه فى زراعة القطن مسيو جوميل Jumel . والحرير وقد استحضر له شجر التوت ومعلمين من سوريا ولبنان لتربية دودة القز . والأفيون وقد استحضر محمد على من آسيا الصغرى بعض الأرمن الحبيرين بزراعة الأفيون وبطرق استعماله للاستفادة من خبرتهم لتوسيع زراعته وتحسينها

“ Jadis l’opium de la Thébaidé était si renommé, qu’on le désigne encore aujourd’hui, dans nos officines sous le nom d’extrait thébaïque. Le vice-roi, pour donner une nouvelle activité à cette branche d’agriculture, depuis longtemps tombée en désuétude, fit venir de l’Asie-Mineure des Arméniens consommés dans la pratique.

“ En 1833, la récolte de l’opium s’éleva à 14,500 okes, que le Pacha vendit 110 piastres l’oke.” V. Clot Bey P. 46

ولم يكتف بكل هذا بل ضم الى مصر واحة سيوة (احتلها بأمره حسن باشا الشامسرجى) . كما أنشأ بعض الوزارات للداخلية والمالية وللخارجية وللتجارة ولم يكن موجوداً منها شئ من قبل (راجع صحيفة ٤٠ من كتاب كلوت بك) .

(١) اول بثة هامة ارسلت الى فرنسا فى سنة ١٨٢٦ وكان عددها ٤٠ طالباً بعضهم ارسل لدراسة الادارة المدنية . وبعضهم لدراسة الادارة الحربية . ومنهم لدراسة العلوم السياسية . ومنهم لقوة المياه والعلوم الميكانيكية والهندسة والمدفعية وصب المعادن وصنع الاسلحة والكيمياء والطب والتاريخ الطبيعى والمعادن — راجع صحيفة ٧٤ من الجزء الخامس من كتاب « فيض الخاطر » للاستاذ الكبير احمد بك امين

(٢) اسمع ما قاله عن « الامن » فى عهد محمد على السائح المؤرخ تدنا دوفان :

“ Ce que disait Tacite du bonheur qu’on avait de vivre à Rome sous Trajan, peut se dire aujourd’hui de Méhémet-Ali, à la sage fermeté duquel est due la tranquillité dont jouissent les villes du Caire et d’Alexandrie : “ Sous ce prince, vous pouvez, par une félicité qui se reproduit rarement, penser ce qu’il vous plaît et dire librement ce que vous pensez.” V. “ l’Egypte sous Méhémet Ali ”. par Thedenat Duvent.

(٣) فى موسم سنة ١٨١٧ جنى محمد على ٤٠ الف قنطار . وفى موسم سنة ١٨١٨ جنى ٧٠.٠٠٠ ومصر الآن تحبى اكثر من عشرة اضعاف هذا المقدار واصبح القطن عماد ثروة مصر

وكثرة حروب محمد على وكثرة مشاغله لم تمنعه من توجيه عنايته الى الامور التشريعية والقضائية .

- ففي سنة مبايعته والياً على مصر (سنة ١٨٠٥) أنشأ « ديوان الوالى » اختصه بالفصل فى المنازعات التى تقوم بين الاهالى والاجانب وعين فيه عالماً من كل مذهب من المذاهب الاربعة لينظر فى مسائل المواريث والاوصياء والجنايات الكبيرة .

- وفى سنة ١٢٤١ هـ أصدر قانون ترتيب « مجلس أحكام ملكية » .

- وفى سنة ١٢٤٥ هـ أصدر « قانون الفلاح » .

- وفى سنة ١٢٥٠ هـ أصدر « قانون السياسة نامه » .

- وفى سنة ١٢٥٨ هـ شكل « مجلس جمعية الحفانية » خوفاً من حق التشريع .

- وفى سنة ١٢٦١ هـ شكل « مجلساً لتجار اسكندرية » ليفصل فى القضايا التجارية بين الاهالى والاجانب .

- وفى سنة ١٢٦٢ هـ شكل « مجلساً لتجار مصر » .

- وفى سنة ١٢٦٣ هـ شكل « المجلس المخصوص » .

- وفى سنة ١٢٦٨ هـ شكل خمسة مجالس للأقاليم .

- وفى سنة ١٢٧٣ هـ ألف مجلس استئناف للقضايا التجارية .

وما كان شئ من هذا موجوداً . قال أحد المؤرخين وما أصدق ما قال (ان

نابليون كان يفتخر دائماً بأنه يساير عصره . الا أن محمد على جاوز عصره بمراحل) .

“ Napoléon se vantait toujours qu'il marchait avec son siècle, Mohamed Ali est allé loin, bien loin au delà de son siècle. ”

ولم تقتصر عنايته على الامور العسكرية والتشريعية والقضائية والصناعية والزراعية والتجارية والمالية بل وجه عنايته أيضاً إلى الشؤون الدينية والادبية منها أنه أوجب على جنوده بأن يؤدوا الصلوات الخمس فى أوقاتها . كتب الى قواد جيوشه يقول لهم « مروا جنودكم بأداء الصلاة فى أوقاتها . لاتدعوهم يتركونها فى سلم أو حرب . فان الله الذى يهب النصر لمن يشاء من عباده جعل العاقبة للمتقين ولينصرن الله من ينصره . ان الله

قوى عزيز». كما حرم على النساء السير في الجنازات واصفاً إياهن بأنهن « نساء قليلات أدب ». كما عاقب كل من سب آخر قائلاً له « أنت فلاح » لانه كان يريد أن يرفع الفلاح الى مستوى أرق مما كان فيه . كما حافظ على كرامة المصريين إذا ما اعتدى عليهم أجنبي مهما سمت وظيفته ولو كان قنصلاً . كما ساوى في المعاملة بين المسلم وغير المسلم .

٧٥- بنى نابليون قلعة بجوار قلعة صلاح الدين عرفت باسم قلعة نابليون . وبنى محمد على بجوارهما حصناً عرف باسم حصن محمد على .

٧٦- ونابليون تنازل عن عرش فرنسا وهو على قيد الحياة لابنه (نابليون الثانى) وابراهيم بن محمد على استوى على عرش مصر فى حياة أبيه ^(١) .

٧٧- كان نابليون يكره المحامين ^(٢) ومحمد على مثله كان يكره المحامين . لما عرض علي نابليون مشروع إقرار مجلس نقابة المحامين رفضه وقال عن المحامين انهم جماعة ثرثرة يثيرون الفتنة والثورة . ثم قال « طالما كان السيف فى يدي فاني لا أوقع على مرسوم أحق وأخرق مثل هذا ، حبذا لو أمكن قطع لسان كل محام يستخدم لسانه ضد الحكومة » . ومحمد علي مثله عرضت عليه قائمة بأسماء « الوكلاء » الذين كانوا يترافعون أمام المحكمة الشرعية الكبرى وكانوا يسموهم (المزورين) فأمر بتحقيق الشكاوى و « بتأديب المزورين » قائلاً : (كونوا منتسبين فى قطع دابرهم وانظروا فى قطع دابرهم وانظروا فى طريقة لقطعهم واقطعوهم) .

ولما انتهى التحقيق وعرضت نتيجته على محمد على باشا أمر بنفى البعض الى بلاد السودان والبعض الآخر الى بلاد الغرب ^(٣)

(١) وولاية الابن الحكم فى حياة الاب لها سوابق فى تاريخ مصر . من ذلك ان بطليموس سوتير مؤسس دولة البطالسة تنازل عن عرش مصر لابنه وبقي هو معتزلاً بالحكم الى ان مات (٢) ومع ان نابليون كان ابن محام فانه قال :

“Je veux qu'on puisse couper la langue à un avocat qui s'en servirait contre le gouvernement.”

(٣) راجع كتاب (الحمامة قديماً وحديثاً) بقلمنا وقلم الاستاذ جميل خانكي صحيفتى ٢٦ و ٢٥

٧٨ - اشتهر نابليون بالدهاء والمكر والخداع . كان يلبس لكل حالة لبوسها .
تارة يميل الى فريق وتارة يميل الى خصمه ان أراد أن يستعين بقوته أو أراد أن
يدرأ عن نفسه غدره حتى اذا ما حقق غرضه انقلب عليه كما حصل له مع النمسا ومع
بروسيا ومع روسيا ومع اسبانيا . انظر ما قاله نابليون عن نفسه :

“ C'est en me faisant catholique que j'ai fini la guerre de Vendée,
en me faisant musulman que je me suis établi en Egypte, en me faisant
ultramontain que j'ai gagné les esprits en Italie. Si je gouvernais un
peuple de Juifs, je rétablirais le temple de Salomon.” V. “ Napoléon ”
par Rosny. P. 118.

وفي النشرة التي نشرها على الشعب المصري بتاريخ ٢ يوليه سنة ١٧٩٨ عندما
غزا مصر اراد خدعهم فقال لهم :

Année 1798. Juil. 2. - “ N'est-ce pas nous qui avons détruit le
Pape qui disait qu'il fallait faire la guerre aux musulmans ? N'est-ce
pas nous qui avons détruit les chevaliers de Malte, parce que ces insensés
croyaient que Dieu voulait qu'ils fissent la guerre aux musulmans ?
N'est-ce pas nous qui avons été dans tous les siècles les amis du
Grand Seigneur.”- P. 61.

وما كتبه في ٢٤ اكتوبر سنة ١٧٩٦ :

“ La folie du pape est sans égale. Mon projet est de me rendre à
Ancône au moyen de l'armistice, et de n'être ennemi que là. Le grand
art actuellement est de tromper ce vieux renard.” V. “ La vie de
Napoléon” P. 35.

وقد وصفه البابا بكلمتين جمعتهما بين الایجاز والاعجاز فقال عنه انه (Commediante,
tragediante)

ويقول المؤرخ روسني عنه :

“Il organise, continue ses mômeries islamiques, revêt même à l'occasion
le costume oriental. Ah ! il a tout pour séduire les Orientaux, comme

ceux d'Occident. Il aurait séduit les Nègres. C'est un orchestre universel." "Napoléon" par Rosny. P. 85.

ثم يقول :

"Il lit le Coran pour se bien pénétrer de son rôle, professant que sans la religion, celle de Mohamet, il'aurait aucune prise sur le peuple ni l'élite." "Napoléon" par Rosny. P. 79.

وها نداؤه الى اهالى القاهرة وقد علّقه فى الميادين العامة والشوارع :

"On vous dira que je viens détruire votre religion ; ne le croyez pas ; répondez que je viens vous restituer vos droits, punir les usurpateurs et que je respecte, plus que les Mamelouks, Dieu, son prophète et l'Alcoran".

وكتب فى ٢٦ ابريل سنة ١٨١٦ يقول :

"Année 1816. Avril 26. Et après tout, ce n'est pas qu'il eut été impossible que les circonstances m'eussent amené à embrasser l'islamisme; et, comme disait cette bonne reine de France: Vous m'en direz tant; Mais ce n'eut été qu'à bonne enseigne; il m'eut fallu pour cela au moins jusqu'à l'Euphrate. Le changement de religion, inexcusable pour des intérêts privés, peut se comprendre peut-être par l'immensité [de ses résultats politiques. Henri IV avait bien dit : Paris vaut bien une messe. Croit-on que l'empire d'Orient, et peut-être la sujétion de toute l'Asie, n'eussent pas valu un turban et des pantalons; car c'est, au vrai, uniquement à quoi cela se fût réduit." P. 373.

وكتب فى ٧ يناير سنة ١٨١٨ وهو فى منفاه فى جزيرة سنت هيلانة

يقول :

"Année 1818. Janvier 7. Ce que j'aime dans Alexandre le Grand ce ne sont pas ses campagnes que nous ne pouvons concevoir, mais ses moyens politiques. C'est d'une grande politique de sa part que d'avoir été à Ammon; il conquiert ainsi l'Egypte. Si j'étais resté en Orient, j'aurais probablement fondé un empire comme Alexandre, en me rendant en pèlerinage à la Mecque, où j'aurais fait des prières et des génuflexions ; mais je n'aurais voulu le faire que si cela en eut valu la peine." V. Vie de "Napoléon" P. 396.

ومثله محمد على كان مبدؤه وشعاره « فرق تسد » انحاز الى المماليك ضد الترك . واستعان بالأرناؤود على المماليك . واستخدم المصريين ضد الأرناؤود فتوصل الى خلع أربع ولاة عثمانين أرسلهم السلطان ليتولوا حكم مصر . وفي هذا يقول المؤرخ جوين وما أبدع ما قال :

“ Nul autre que lui n'applique avec autant d'adresse, de courage et de ruse, la fameuse maxime : diviser pour régner. Comme le disait M. Gouin : “ Il s'est fait renard souvent, lion toujours. Il a renversé les Osmanlis par les Mameluks, les Mameluks par les Albanais, les Albanais par les Egyptiens. Il a fasciné, il a détruit quatre vice-rois, sans craindre de s'asseoir à son tour sur un trône si fragile. Y monter, a-t-on dit, c'était un chef-d'oeuvre. Y rester, un miracle.”

٧٩ - ونابليون نازلته « امرأة » هي لويز La reine Louise ملكة بروسيا ^(١) إذ أنها

ترزعت الثورة التي أثارها في بروسيا وفي غير بروسيا لطرده نابليون من المانيا وكانت تمتطي جوادها وتحض الجنود على القتال وتبث فيهم روح الحمية والبسالة ضد نابليون وجنوده.

(١) ولعل ابلغ وصف لكراهة ملكة بروسيا لنابليون الذي اذل بلادها ما ورد في

كتاب “ Stein ” مؤلفه جرونوالد Grunwald وفيه :

“ Pour mesurer l'étendue de son sacrifice, il ne faut pas oublier qu'elle voyait en Napoléon un “ fléau de Dieu”, un “ fils de l'Enfer” et qu'elle avait craint, même pour son mari “ une profanation par le contact de cet être infâme ” V. “Stein” par Grunwald. P. 73.

وفي صحيفة ٨٦ :

“ Les patriotes d'outre-Rhin ont voué à la mémoire de Louise de Prusse un culte passionné. Ils vénèrent en elle la personnification de toutes les vertus de la femme allemande, ils vénèrent aussi en elle la mère de ce prince Guillaume qui devait devenir Empereur en 1871, la nouvelle Iphigénie qui s'immola au vainqueur à Tilsitt, dans le vain espoir de sauver son pays ; celle enfin qui en assura le relèvement en ramenant le baron de Stein au pouvoir.”

وفي صحيفة ٩١ :

“ L'horizon est sombre, écrivait-elle à son frère au début de 1806, ce sont les diables qui détiennent le pouvoir et les justes qui doivent se soumettre. Le diadème est lourd à porter pour qui veut rester bon et honnête. Je donnerais volontiers vingt années de ma vie et je n'en garderais que deux si l'on pouvait obtenir à ce prix la paix en Allemagne et en Europe.

“ Mais elle s'apercevait chaque jour plus nettement que les empiètements de “ cet infâme colosse de Napoléon ” rendaient une politique de paix impraticable. “ Il ne veut que des esclaves comme instruments de sa volonté, déclarait-elle ; je suis convaincue que tout Prussien préférerait donner sa dernière goutte de sang plutôt que de commettre une infamie et de devenir pour les Français un allié ou un esclave, ce qui revient au

ومحمد علي نازلته «امراة» اسمها غالية^(١) (ارملة شيخ العرب صبيح). إذ أنه لما ذهب في خلال سنة ١٨١٣ لقمع ثورة الوهابيين تزعمت غالية هذه عرب نجد واليمن في طربة^(٢) (بين نجد واليمن) لمنازلة جيوش محمد علي وبعد أن انضم اليها الشريف راجي وعثمان أخو المضيفي كوتوا قوة كبيرة كادت تطوق جنود محمد علي باشا نفسه وتفتك بهم. وغالية

même." Elle comparait l'Empereur à "un bandit de grand chemin qui vous demande la bourse ou la vie", et elle prévoyait avec une angoisse justifiée "le jour où ce rejeton de l'Enfer ferait égorger les Allemands par les Allemands".

ويقول المؤرخ روسني في كتابه (نابليون) :

"La Reine, la belle et charmante Reine, une des plus ravissantes femmes d'Europe, voulait ardemment la guerre. Une cour enivrée la suivait, le monde militaire manifestait, avec une violence sauvage, sa haine contre la France, surtout contre l'Empereur... Le roi était cerné, en proie aux objurgations quotidiennes de sa compagne et des grands du royaume..."

"Si confiant que fut Napoléon dans son génie militaire, il ne pouvait se dissimuler l'imminence du péril. Une grande bataille perdue le ruinerait. Et même vainqueur que de menaces!" (V. "Napoléon." par Rosny.) P. 154.

الى ان قال في صحيفة ١٧٠ :

"Une propagande frénétique incendia les âmes. La belle Reine, en costume pseudo-militaire, menait une cour d'adorateurs belliqueux, les encourageait, les excitait, leur promettait la victoire.

"Derrière la Reine, un cortège de dames "hochgeboren", la princesse de Cobourg, la princesse électorale de Hesse, la duchesse héréditaire de Weimar, soeur d'Alexandre, une fourmilière de donzelles moins titrées." V. "Napoleon" par Rosny. P. 170.

وها ما قاله فيها نابليون نفسه :

— كتب في ٨ أكتوبر سنة ١٨٠٦ يقول :

"La reine de Prusse est à l'armée, habillée en amazone, portant l'uniforme de son régiment de dragons, écrivant vingt lettres par jour pour exciter de toutes parts l'incendie." P. 189.

— ثم كتب في ٣٠ أكتوبر سنة ١٨٠٦ يقول :

"Jusqu'à cette heure nous avons 150 drapeaux, parmi lesquels sont ceux brodés des mains de la belle Reine, beauté aussi funeste aux peuples de la Prusse que le fut Hélène aux Troyens." P. 193.

(١) راجع صحيفة ٤١ من كتاب الدكتور محمد صبرى .

"A l'aspect des soldats de Moustapha, qui arrivaient (٢) exténués de fatigue, les Ouahabites n'attendirent pas l'attaque; ils fondirent sur eux et les mirent immédiatement en déroute. Une amazone com mandait cette brillante sortie; c'était la femme du cheik d'une tribu, elle fit des prodiges de valeur." (p.106)

هذه هزمت المصريين الذين كانوا تحت أمرة مصطفى بك (عديله محمد على باشا) .

٨٠ - ونابليون كان شديد الإعجاب باسكندر الأكبر . ومحمد على مثله ، روى

المؤرخان الفرنسيان كادالفين Cadavène وبروفوى Breuvery اللذان عاصراه وعرفاه

وخالطاه - ان محمد على باشا سمع بتأليف كتاب فى حياة اسكندر الاكبر طبع ونشر

فى فرنسا فأمر باحضاره . ولما عرض عليه الكتاب ، سأل عن الزمن الذى تقتضيه

ترجمته ، فأجاب المترجم « تستغرق الترجمة ستة شهور » فقال محمد على باشا : « هذا

زمن طويل » ثم استل سيفاً من الخرسى وشرط الكتاب ثلاثاً وقال : « الان يجب

أن تتم الترجمة فى شهرين » . بعد ذلك التفت الى الحاضرين واستأنف الكلام على

الاسكندر قائلاً : « قيل لى أن الاسكندر وبطليموس من مقدونيا . وأنا أيضاً من

مقدونيا . أن مقدونيا أنجبت ثلاثاً تولوا حكم مصر . إلا ان سلطاني على هذه

البلاد أوسع مدى » .

٨١ - ومن شدة إعجاب محمد علي بنابليون مال الى مجاراته فى كل شىء فأمر

بترجمة بعض الكتب التى وضعت فى تاريخ حياته فأمر بترجمة كتاب (تاريخ نابليون

بونابرت) وهو مذكراته التى أملأها بنفسه حين كان منفياً فى جزيرة سانت هيلانه

ترجم من الفرنسية الى التركية وطبع فى بولاق فى سنة ١٢٤٧هـ (١٨٣٢ ميلادية) .

كما ترجم (تاريخ نابليون بونابرت) تأليف (دوق روفيجو Duc de Rovigo) ترجمه

عن الفرنسية الى التركية عبد الله افندى عزيز وحسن افندى الكاتبان بديوان

الوالى وطبع فى مطبعة سراى رأس التين باسكندرية سنة ١٢٤٩هـ (١٨٣٤ م)

وابراهيم باشا أمر بترجمة حياة نابليون الى اللغة التركية . وقد ظهرت الترجمة

ضمن مجموعة « أسرار حكام أوروبا الدفينة » وها ما قاله كلوت بك عنها :

"Ibrahim-Pacha a fait traduire en turc une histoire abrégée de Napoléon. Elle a paru sous le titre de " Histoire de l'illustre Napoléon, Empereur de France ", dans un recueil appelé " Definei asrar hukkami Europa " (Trésor des secrets des souverains de l'Europe). V. " L'Egypte " par Clot. Bey. P. 43.

(١) يقول رفاعه بك فى كتابه (مناهج الالباب) « ولما كان محمد على يحس من نفسه بأن عزماته اسكندرية كان متولماً بقراءة تاريخ اسكندر ومنكباً عليه وشبيهه الشىء ينجذب اليه »

ولما رجع محمد على من رحلته في السودان فكر أول مافكر في ترجمة قانون نابليون المدني ليتخذة دستوراً للاصلاحات التشريعية والقضائية في مصر^(١) وقد استحضراً أحد رجال القانون من فرنسا هو الاستاذ سولون Solon ليدرّس القانون الادارى - راجع صفحة ٦١ من كتاب شلشر Victor Schælcher على مصر . "l'Egypte en 1845" (المطبوع في سنة ١٨٤٦) وهما الاصل :

" Il y a trois ou quatre ans à peine, Méhémet Ali a fait venir de France un jurisconsulte, Mr. Solon, pour établir au Caire un cours de droit administratif. "

٨٢ - وواقعة أوسترلitz التي انتصر فيها نابليون على الروس وعلى النمساويين في ٢ ديسمبر سنة ١٨٠٥ أطلق عليها المؤرخون اسم « معركة الامبراطرة الثلاثة » . La journée des trois Empereurs . لأنه شهدها الامبراطور نابليون بنفسه . وفرنسا الثاني امبراطور النمسا بنفسه . واسكندر الثالث قيصر روسيا بنفسه^(٢) . يقابلها في عهد محمد على معركة حمص - حيث انتصر المصريون على الترك في ٨ يوليو سنة ١٨٣٢ - وقد سماها المؤرخون « هزيمة الباشوات الثمانية » لأن القوات التركية كانت تحت قيادة ثمانية باشوات هم : محمد باشا والى حلب وعثمان باشا حاكم المعادن وعثمان باشا والى القيسارية وعلى باشا والى دمشق ومحمد باشا الكردي ونجيب باشا ودلاور باشا ومحمد باشا .

٨٣ - وصف أحد المؤرخين نشاط نابليون وجلده بكلمة تنطبق عليه وعلى محمد على معاً . كما وصف أحد المؤرخين نشاط محمد على وجلده بكلمة تنطبق عليه وعلى نابليون معاً . اسمع ما يقوله لورد روزبرى Rosebery عن نابليون في كتابه (نابليون) في الصحف ٢٨٦ و ٢٨٨ و ٢٨٩ : قال في صحيفة ٢٨٦ :

" C'était un grand administrateur. Il avait l'oeil et la main à tous les rouages et à tous les ressorts, petits ou grands, de sa vaste machine

(١) راجع كتاب كادلفين Cadalvéne جزء اول صفحة ٨١

(٢) بعد ما انتصر نابليون على الروس والنمساويين في واقعة أوسترلitz في ٢

ديسمبر سنة ١٨٠٥ اجتمع مجلس شيوخ فرنسا وقرر اضافة لقب « الكبير » الى اسم نابليون فأصبح اسمه Napoléon le Grand

gouvernementale. C'était son joujou à lui. Il était son propre ministre de la guerre, son ministre des affaires étrangères, son ministre de la marine, tout son ministère."

ثم قال في صحيفة ٢٨٨ :

"Pour accomplir toutes ces choses, il fallait une organisation vraiment puissante, et, de fait, sa constitution physique n'était pas moins extraordinaire que son mécanisme intellectuel. Son estomac endura sans révolte, pendant sa vie entière, de gros repas dévorés en quelques instants à des heures irrégulières."

الى أن قال في صحيفة ٢٨٩ :

"Une fois il livra bataille à Alvinzy pendant cinq jours de suite, sans retirer ses bottes ni fermer les yeux. Quant il eut battu les Autrichiens, il dormit trente-six heures en arrivant aux Tuileries, après son retour haletant de Valladolid, n'ayant pris en route qu'un repos de quelques heures à Bayonne."

واتهى بأن قال في الصحيفة نفسها :

"Il courait en poste du fond de la Pologne jusqu'à Paris, convoquait le conseil sur -le- champ et le présidait avec son énergie et sa pénétration habituelles. Ces conseils de ministres n'étaient pas une plaisanterie. Ils duraient huit ou dix heures. Une nuit, à deux heures du matin, les ministres étaient épuisés. Le ministre de la marine dormait profondément. Napoléon les pressait de continuer leur délibération : " Allons, messieurs, secouez-vous. Il n'est que deux heures; Il faut bien gagner l'argent que le pays nous donne." V. " Napoléon, la dernière phase " par Rosebery.

واسمع الآن ما قاله كلوت بك في كتابه على محمد على صحيفة ٦١ :

"Son activité est au-dessus de tout ce qu'on peut dire. Non seulement il s'occupe toute la journée mais il ne dort que quelques heures pendant la nuit, et encore son sommeil est-il très agité. A quatre heures du matin, il est sur pied. Il reçoit tous les jours les rapports de ses différents ministres, et dicte toutes les réponses : puis il passe des revues, visite les chantiers, les grands travaux." V. " L'Egypte " par Clot Bey P. 61

ووصفه مسيو هامون Hamont - الذي عاصر محمد علي وكان في خدمته في مصر -

في كتابه (مصر تحت حكم محمد علي) فقال في صحيفة ٤٣٣ :

"D'une activité prodigieuse, infatigable, Mohamed Ali dort peu, son sommeil est agité. L'action est son élément, toute sa vie. Il demeure peu de temps assis. A l'âge de 72 ans, il fait à travers les déserts, le voyage de l'Ethiopie. Dans ses courses, il est le premier levé et le dernier couché." V. "L'Egypte sous Mohamed Ali." par Hamont. P. 433.

ويقول نابليون عن نفسه :

Anné 1816. Sept. 57. - " Le travail est mon élément ; je suis né et construit pour le travail. J'ai connu les limites de mes jambes, j'ai connu les limites de mes yeux ; je n'ai jamais pu connaître celles de mon travail." V. "Vie de Napoléon, par lui-même." P. 383.

ويقول المؤرخ شلشر :

" Méhémet-Ali veut passionnément ce qu'il veut " (V. "L'Egypte en 1845 " par Victor Schaelcher P. 61."

وعندما كان يريد تأكيد ارادته كان يبدأ كلامه بقوله (والله . بالله . تا الله)

٨٤ - كان نابليون يدير بنفسه دفعة امبراطوريته العظيمة . لا يبت في مسألة حرية أو بحرية أو مالية أو سياسية أو ادارية إلا برأيه وأمره . فكان هو وزير الحرية ووزير البحرية ووزير المالية ووزير الخارجية ووزير الداخلية^(١) . وبعبارة أخرى كان هو الكل في الكل . وما كان أحد من وزرائه يجرأ أن يجادله أو يناقشه أو يعارضه . ومحمد على باشا كان مثله وزير الحرية ووزير البحرية ووزير المالية ووزير الخارجية ووزير الداخلية . وبعبارة أخرى كان هو الكل في الكل . وما كان أحد من وزرائه يجرأ أن يجادله أو يناقشه أو يعارضه . ألا ينطبق على نابليون وعلى محمد على ما قاله المؤرخ روني :

" Ce n'est pas l'armée romaine qui a soumis la Gaule, mais César ; ce n'est pas l'armée carthaginoise qui faisait trembler la république aux portes de Rome, mais Hannibal ; ce n'est pas l'armée macédonnienne qui a été sur l'Indus, mais Alexandre ; ce n'est pas l'armée française qui a porté la guerre sur le Weser, mais Turenne ; ce n'est pas l'armée prussienne qui a défendu la Prusse contre les trois grandes puissances de l'Europe, mais Frédéric. " V. " Napoléon " par Rosny. P. 38

(١) وفي هذا الصدد يقول لورد روزبري Lord Rosebery في الصحيفة ٢٨٦ :

" C'était un grand administrateur. Il était son propre ministre de la guerre, son ministre des affaires étrangères, son ministre de la marine, tout son ministère. " " Napoléon " par Lord Rosebery., P. 286.

فالجيش الفرنسي ليس هو الذى غزا بلاد الغرب بل نابليون . والجيش المصرى ليس هو الذى غزا بلاد الشرق بل محمد على . ولعل محمد على يشير الى هذا عندما قال (إذا لم يكن الربان ماهراً حطمت السفينة بسرعة) وقريب من القولين قول نابليون نفسه عندما كتب فى ٢٨ أغسطس سنة ١٨١٦ وهو فى منفاه بجزيرة سنت هيلانة :

“ Les meilleures troupes ont été les Carthaginois, sous Annibal; les Romains, sous les Scipions; les Macédoniens, sous Alexandre; les Prussiens, sous Frédéric. On pourra peut-être reproduire quelque chose qui vaille mon armée d'Italie et celle d'Austerlitz; mais, à coup sûr, jamais rien qui les surpasse.” V. “Vie de Napoléon par lui-même.” P. 383.

٨٥ — نابليون سما فى سماء الجلالة والجاه والقوة والسلطان حتى أصبح مفزعة القياصرة والأباطرة والملوك والأمرأ إذا مادهم واحد منهم أمر فزع اليه ، فاذا أشار كانت إشارته أمراً ، وإذا أمر كان أمره حكماً لا معقب له . واسمه كان يفعل فعل السحر فى عقول الأعداء كما يقول الكاتب المؤرخ الشهير Sainte Beuve^(١) “ La magie du nom de Napoléon ”

(١) سمع ملك البيامونت (ايطاليا) بأن نابليون يرأس الجيش الفرنساوى الذى أتى ليحاربه فأسرع وطلب الصلح مع ان القوة التى كان يرأسها نابليون ما كان عندها مدفعية ولا خيالة وجنودها كانوا خفاة — صحيفة ١١٠ من كتاب «حياة نابليون» تأليف ستندهاى Stendhal — وفى وقعة ريفولى Rivoli سنة ١٧٩٧ سُدَّ له ٢٠.٠٠٠ جندى نمساوى مع ضباطهم مع أن جيشه ما كان يزيد على ٣.٠٠٠

— وفى وقعة اولم Ulm انتصر على النمساويين واسر ٦٠.٠٠٠ منهم ٣٠ جنرالا وغنم ١٢٠ مدفعاً و ٩٠٠ علماً ولم يخسر من رجاله سوى ١٥٠٠ نلشيم جرحى . ثم سلمت الحامية وكان عدد رجالها ٣٣.٠٠٠ بينهم ١٨ جنرالا ومعهم ٦٠ مدفعاً . ومن الغريب انه لما استعرضهم نابليون امامهم وقفوا مبهورين وكثير من الجنود والضباط صاحوا « فليحي الامبراطور »

وقد كتب فى ذلك يقول : J'ai rempli mon dessein, j'ai détruit l'armée autrichienne par de simples marches; j'ai fait 60.000 prisonniers, pris cent vingt pièces de canon, plus de quatre-vingt-dix drapeaux et plus de trente généraux.

“ Je n'ai perdu que 1.500 hommes, dont les deux tiers faiblement blessés. . . (Donc, il a pour ainsi dire vaincu tout seul, son armée servant d'épouvantail plutôt que de réalité combattante.)

“ La garnison d'Ulm pose les armes demain ”, ajoutait-il.

“ Cette garnison (33.000 hommes, 18 généraux, 60 canons), défila

ومحمد على مثله كان مفزعة السلطان والملوك والأمرء والولاة (١).

٨٦ - ومن ألطف مايروى ان ابراهيم باشا ابن محمد على دعا بعض الفرنسيين لتناول الغداء معه في القناطر الخيرية في يوم ١٥ اغسطس سنة ١٨٢٤ وكان بين المدعوين الكولونيل سيف (سليمان باشا الفرنسي) ولينان بك (لينان باشا الفرنسي) ودي لسبس الفرنسي (صاحب قتال السويس) وكان وقتئذ سكرتيراً لقنصلية فرنسا في مصر . وفي أثناء تناول الغداء فطن الحاضرون الى ان ذلك اليوم - ١٥ اغسطس - هو عيد ميلاد نابليون (لأنه ولد في ١٥ اغسطس سنة ١٧٦٩) فصادت هذه

devant l'Empereur. Il advint que les soldats et même les officiers, s'arrêtèrent pour contempler, pour admirer le vainqueur. Bon nombre crièrent: "Vive l'Empereur." V. "Napoléon le Grand" par Rosny Aîné. P. 157.

— وفي شهر فبراير سنة ١٨١٤ انتصر على اعدائه في ست وقائع حربية في اسبوع واحد في ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٤ و ١٦ و ١٨ فبراير سنة ١٨١٤ . وفي هذا يقول المؤرخ الفرنسي روسني في صحيفة ٢٢٣ في كتابه « نابليون الكبير » ما يأتي :

" Voyons les dates en série : 10, 11, 12, 14, 16, 18 février, six batailles, six batailles heureuses en une semaine. L'athlète dépasse toutes ses performances.

"Aux ennemis consternés, l'homme apparaît surnaturel, diabolique. Voir "Napoléon le Grand". par Rosny P. 223.

— ولما فر من جزيرة ألبا وهبط في فرنسا ليسترد العرش لم يكن معه سوى ٧٠٠ جندي ومع ذلك اخترق فرنسا غازياً من شاطئ فرنسا الجنوبي الى ان وصل الى باريس . وفي أثناء زحفه انضم اليه آلاف من الفرنسيين . ولما علم ملك فرنسا بقدمه والتفاف الناس حوله هرب — ولعل ابلغ كلمة هي التي قالها الشاعر الالماني هنري هين Henri Heine اذ قال :

"Napoléon a sifflé et la Prusse n'existe plus"

(١) فزع اليه السلطان محمود وطلب منه قمع ثورة الوهابيين ففعل .

— وفزع اليه عندما ثارت بلاد اليونان وعجز الجيش العثماني عن اخاد ثورة المورة ففعل .

— وفزع اليه عندما ثار اهالي جزيرة كريت واهالي جزيرة قبرص ففعل .

— وفزع اليه عند ما اراد صدد الفرس الذين ثاروا عليه .

— وفزع اليه حاكم درنه وطلب منه العون والنجدة .

— وفزع اليه اهالي البوسنة .

— وفزعت اليه فرنسا عندما ارادت تأديب امير الجزائر .

— وفزع اليه امرء الحجاز واليمن وولاة دمشق وحلب وعكا عندما غضب عليهم السلطان .

— وفزع اليه والي بغداد وعرض عليه الاستسلام .

— وابلغ من كل هذا انه في ٢٨ فبراير سنة ١٨٣٣ تقدم محمد اغا الى حاكم ازمير وطلب منه باسم

محمد على باشا وابنه ابراهيم باشا التسليم فأذعن في الحال وسلم المدينة واستسلمت الحامية مع انه لم يكن مع محمد اغا سوى اربعة جنود فقط . ليس هذا من la magie du nom de Méhémet Ali . وفي هذا يقول احد المؤرخين « الشهرة تعدل عشرة جيوش » "La popularité vaut dix armées". وكتب قنصل انجلترا في مصر الى لورد بالمرستون كبير وزراء انجلترا يقول ان اسم ابراهيم فعل في نفوس الناس فعل السحر :

"Le nom d'Ibrahim semble talismanique" V. Sabry. p. 344.

الذكرى هوى فى فؤاد ابراهيم باشا فأمر فى الحال بذبح خروف امام الحاضرين ولما جرى دمّه قام ابراهيم باشا وكتب بدم الحروف حرفى م . ن وهما الحرفان الأولان من اسمى محمد على نابليون .

٨٧ - وجيوش محمد على صادفها ما صادف جيوش نابليون من انكسار ينقلب الى انتصار . ففي واقعة Eylau (٨ فبراير سنة ١٨٠٩) كاد الروس يمزقون جيوش نابليون شر ممزق لولا حركة لف ودوران من المارشال ناى Ney واذا الروس ينكسرون والفرنساويون ينتصرون . وفي واقعة مارنجو Marengo (١٤ يونيه سنة ١٨٠٠) كادت الجيوش النمساوية تسحق جيوش نابليون لولا ظهور فيالق دسكس Desaix واذا النمساويون ينكسرون والفرنساويون ينتصرون . وجيوش محمد على أحرق بها الخطر فى واقعة نزيب وكاد الخطر ينقلب الى هزيمة لولا حركة لف ودوران من الجيوش المصرية تحت قيادة ابراهيم باشا وسليمان باشا فرنساوى طوقت الجيش العثمانى الذى كان تحت قيادة حافظ باشا والبارون مولتى^(١) وانتهت بنصر مبين . مزق المصريون الجيش التركى شر ممزق . قتلوا منه ٤٠٠٠ وغنموا منه ١٧٩ مدفعاً واسروا ١٥٠٠ و ١٨٠٠٠ بندقية واستولوا على جميع المعسكر التركى بمهمات وذخائره . واعترف البارون مولتى الألمانى بأن الجيش التركى خسر فى تقهره خمسة أسداس البقية الباقية منه . وفي واقعة كولاخ بيلاد العرب (٢٠ يناير سنة ١٨١٥) بدأت المعركة بين الجيش المصرى تحت قيادة محمد على باشا نفسه بفوز الوهايين واندحار المصريين وتقهقرهم وتشتتهم ولما همّ العرب بمطاردة المصريين جمع محمد على فلول جيشه وكوّن منه مربعات - على مثال ما فعل نابليون فى واقعة امبابه مع المماليك - وصوّب مدافعه على العرب فحصدهم حصداً ثم انقلب من الدفاع الى الهجوم واتقض على جيوش العرب فزقها شر ممزق وقتل منهم ٥٠٠٠ جندى . وكان هذا النصر المبين خاتمة أعماله الحربية فى بلاد العرب .

٨٨ - وجيش نابليون لما اضطر الى اخلاء فلسطين بعد ما فشل فى الاستيلاء على قلعة عكا كاد يهلك من الجوع والعطش فاضطر الجند الى أكل الخيل والجمال والحير

(١) وهو الذى كان رئيس هيئة اركان حرب الجيش الروسى فى حرب السبعين التى اندحرت فيها جيوش نابليون الثالث امام ملك بروسيا وامام بسمارك .

والسكّاب ايضاً التي صادفوها^(١). وجيش محمد على عند ما اضطر الى اخلاء جزيرة العرب وعند ما اضطر الى اخلاء فلسطين وسوريا كاد يهلك من الجوع والعطش فاضطر الى أكل الخيل والجمال والحمير حتى أكل الاعشاب وجمّار النخيل

٨٩ - أخطأ نابليون بمد سلطانه على بلاد وأمم وشعوب متباينة غير متجانسة لا تجمعها لغة واحدة ولا طبائع واحدة ولا دين واحد مثل ايطاليا وبلجيكا وهولندا وبلغاريا وبروسيا ومالطة ضحى في غزوها ماضى من رجال وأموال . وأخطأ محمد على هو ايضاً بمد سلطانه على بلاد وأمم وشعوب متباينة غير متجانسة لا تجمعها لغة واحدة ولا عادات واحدة ولا أخلاق واحدة ولا دين واحد مثل اليمن ونجد والحجاز وفلسطين وسوريا والأناضول وكريت وبلاد النوبة ودارفور وكردفان . ضحى في غزوها ماضى من رجال وأموال^(٢)

٩٠ - في أثناء وجود بوناپرت في مصر وصلت اليه أخبار سيئة عن حالة فرنسا الداخلية والخارجية أنزعج لها واضطرب فقرر العودة الى فرنسا حالاً فغادرها وترك الجيش في مصر وكنم الخبر عن الجيش كي لا يتدمر ولا يتطرق الى قلبه اليأس وخيبة الامل ، وأسرّ بعزمه هذا الى ثلاثة من أخص أخصائه وهم : (برتييه Berthier و بورين Bourienne وجانتوم Ganthaut) وعين الجنرال كليبر Kléber خلفاً له ، ثم أمر جانتوم - قائد البقية الباقية من الاسطول الفرنسي بعد ما حطمه الانجليز في أبي قير - بأن يجهز أربع سفن ويزودها بماء وميرة تكفي ٤٠٠ مسافر لمدة أربعة أشهر ، وأبحر من الاسكندرية في يوم ٢٢ أغسطس سنة ١٨٩٩ الساعة السابعة مساءً ووصل الى طولون (فرنسا) يوم ٩ أكتوبر بعد أن لبث ٤٥ يوماً في البحر ثم واصل السفر - على عربة برید - الى أن بلغ باريس يوم ١٣ أكتوبر . وقد حصل لمحمد على ما حصل

(١) Année 1977. Fév. 27. — "Nous avons mangé des chiens, des ânes et des chameaux." V. "Vie de Napoléon." P. 73.

(٢) حرب المورة كلفت محمد على ٢٣٠٥٠٠٠٠٠ فرنك ذهب عدا خسارة أرواح الجنود وعددهم ٣٠ ألف وخسارة الاسطول المصري وعدد سفنه ٨٩ . وقد أغرقها الحلفاء في نافارين Navarin (في بلاد اليونان) . وحرب الوها بين كلفت محمد على ٢٥٠٠٠٠٠ جنيه عدا خسارة الارواح . ولا يعلم الا الله كم كلف غزو فلسطين وسوريا ولبنان والأناضول . وكم كلف غزو النوبة والسودان ودارفور وكوردوفان وجزيرة كريت وجزيرة قبرص

لنابليون تماماً إذ أنه لما كان في جزيرة العرب في خلال سنة ١٨١٣ وصلت اليه أخبار سيئة عن حالة مصر الداخلية والخارجية انزعج لها واضطرب ، فقرر العودة الى مصر وترك الجيش المصرى في بلاد العرب وكنم الخبر . وفى يوم ١٩ مايو امر حاكم ينبع بأن يجهز له سفينة تبحر ليلاً ، وفى يوم ٢٠ وصل محمد على باشا الى ينبع مع حاشيته وركبوا فوراً السفينة ولما وصل الى القصير لم يجد خيلاً ولا أبلأ فامتطى « حماراً » سار به فى جوف الصحارى . ولما وصل الى قنا ركب مركباً مخرت به فى بحر النيل الى أن وصل الى مصر فى يوم ١٩ يونيه سنة ١٨١٥ بعد شهر واحد من مغادرته « المدينة المنورة » (١) .

٩١ - أرهق نابليون فرنسا بكثرة التجنيد حتى مل الفرنسيون فتفتنوا فى الخلاص من الجندية بقطع أصابعهم وتشويه أعضائهم وتسحب منهم آلاف ورفض التجنيد ١٦٠٠٠ وشدد محمد على على المصريين بالتجنيد حتى ملوا فتفتنوا فى الخلاص من الجندية بقطع أصابعهم وتشويه أعضائهم وتسحب منهم ٦٠٠٠ الى ولاية عكا (٢)

“Méhémet-Ali quitta brusquement l'Arabie. Dès le 19 mai, (١) le gouverneur d'Yanbo recevait l'ordre de tenir un bâtiment prêt à faire voile dans la soirée ; le lendemain arrivait le pacha avec une suite nombreuse ; il s'embarquait sans nul retard, et ne permettait même pas au capitaine de longer la côte suivant l'usage, quoique le navire fût mal approvisionné d'eau ; mais il lui ordonnait de gagner le large, atteignait Cosseir, et ne trouvant là sous sa main ni chevaux ni chameaux, il s'élançait à dos d'âne dans le désert, prenait une cange à Kénè, et rentrait dans sa capitale le 19 juin 1815, un mois, jour pour jour, après son départ de Médine. (p. 148)

“Quand les fellahs eurent reconnu que la résistance ou- (٢) verte ne pouvait les soustraire à leur sort, ils ne craignirent pas de se mutiler pour se rendre impropre au service militaire ; les uns s'exécraient le doigt indicateur de la main droite avec une hache, les autres se mettaient un peu de chaux vive dans l'oeil droit.” (p. 249)

الى ان قال :

“Cette misérable population, qui poussait l'horreur pour le service militaire normal jusqu'au point de se mutiler afin d'y échapper, - si bien que la pacha, en pénurie de soldats, avait contraint de ne plus admettre aucun motif d'exemption, et d'enregistrer tout le monde, jusqu'aux borgnes.” (p. 265)

٩٢- ونابليون أقصى عن العرش مرتين : مرة في ١١ أبريل سنة ١٨١٤ بعد رجوعه من روسيا وانكساره في لينزج ومرة في ٢٢ يونيه سنة ١٨١٥ بعد واقعة واترلو . ومحمد على عزله السلطان اربع مرات .^(١) مرة في سنة ١٨٣٢ بعدما زحف جيش محمد على على فلسطين وحاصر عكا . ومرة في سنة ١٨٣٩ قبل واقعة نزيب . ومرة في ٣١ مايو سنة ١٨٤١ بعدما تألبت الدول عليه وطلبت منه الجلاء عن الاناضول وسوريا وفلسطين ورفض . وبعدها تم التفاهم والصلح أبطل السلطان عبد المجيد أمر العزل بفرمان تاريخه ١١ أبريل سنة ١٨٤١ ٩٣ - ونابليون هدد بالانتحار مرة (في ٢١ أبريل سنة ١٨١٤) عندما أكرهته الدول المتحالفة على النزول عن العرش ، ومحمد على هدد بالانتحار مرة (في سنة ١٨٤٠) عندما أكرهته الدول المتحالفة على الجلاء عن الاناضول وسوريا .

٩٤ - ونابليون تحالفت ضده إنجلترا وروسيا وبروسيا والنمسا وإيطاليا وإسبانيا والسويد وتركيا حاربه وأجلت جيوشه عن شمال أوروبا وجنوبها وشرقها وغربها^(٢) ومحمد على تحالفت ضده إنجلترا وروسيا وبروسيا والنمسا وإيطاليا وتركيا وحاربه وأجلت جيوشه عن الاناضول وسوريا ولبنان وفلسطين وكريت .

٩٥ - وبينما كان نابليون يحاصر قلعة عكا اتصل به نبأ ظهور رجل في مصر في خلال شهر ابريل سنة ١٧٩٩ ادعى النبوة وزعم انه المهدي المنتظر وان الله أوحى اليه بأن يطرد الفرنسيين من مصر والتف حوله لفيف من الناس السذج وسرى الهرج والمرج بين القوم سريان النار في الهشيم وأزاء فشل الحصار وهلاك الكثير من رجاله وذيوخ خبر هذا المهدي قرر بوناپرت العودة الى مصر فوصل اليها في ١٤ يونيه سنة ١٧٩٩ (صحيفة ٧٤ من كتاب "Bonaparte en Egypte" تأليف Bainville) يقابله انه في أثناء انهماك محمد على باعداد حملتي جزيرة كريت وشبه جزيرة المورة ظهر في الوجه القبلي رجل مغربي في شهر أبريل سنة ١٨٢٤ زعم ان الله أوحى اليه بأن يحاسب محمد على على أفعاله المخالفة لشريعة الله ولسنة نبيه فصداقه أهالي اسنا وأرمنت وقوص وقنا وانضوا تحت لوائه ونادوا بوجوب شق عصا الطاعة علي محمد على . فحوقا من استفحال أمرهم أنفذ

(١) لما تلقى محمد على من الصدر الاعظم الفرمان بعزله قال (هذه هي رابع مرة يعزلونني فيها وفي كل مرة كنت انفض وازداد مجداً — راجع صحيفة ٢٣٦ من كتاب كريم بك ثابت)
(٢) انفتحت إنجلترا في هذا السبيل ٨٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه حتى سنة ١٨١٤ — اي الى ان

اليهم محمد على قوة من رجاله بطشت بهم وشتت شملهم (صحيفة ١٣٧ من كتاب كريم ثابت بك).
 ٩٦ - وفي أثناء واقعة « واترلو » التي انتهت في ١٨ يولية سنة ١٨١٥ بانكسار نابليون ونفيه طلب الانجليز من الجنرال كامبرون Cambronne قائد الحرس الفرنسي التسليم فأبى وقال كلمته المشهورة في التاريخ : « الحرس يفضل الموت على التسليم » .
 « La garde meurt et ne se rend pas » وفي أثناء حصار بيروت طلب الانجليز من سليمان باشا الفرنسي قائد جيوش محمد على التسليم فأبى وقال : « أفضل الموت على التسليم » .
 ٩٧ - كاد نابليون يغرق في خليج السويس في ٢٨ ديسمبر سنة ١٧٩٨ إذ أنه بارح مصر القاهرة يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٧٩٨ الى السويس مع اربعة من المهندسين والعلماء وهم مونج Monge وبرتوليه Bertholet وكوستاز Costaz والمهندس لو بير Lepère وعابن المنطقة كلها ووصل الى البحيرات المرة ووادي الطميلات واكتشف ترعة قديمة وزار عيون موسى ثم اجتاز الخليج مشياً على قدميه ، وفي أثناء عودته من البر الا سيوى فاجأته ظاهرة المد والجزر وكادت مياه البحر تبتلعه فهرول نحو بر مصر وقال كلمته المشهورة « هل كتب علينا الغرق هنا كما كتب على فرعون مصر من قبل » ^(١) وكاد يغرق أيضاً في ١٤ نوفمبر سنة ١٧٩٦ في إيطاليا عندما أراد اجتياز كوبرى أركول Le pont d'Arcole إذ أنه سقط في البحيرة ولولا أن أسرع جنوده وانتشلوه لوقع أسيراً في أيدي الأعداء ولتغير مجرى التاريخ .
 ومحمد على كاد هو أيضاً يغرق في النيل إذ أنه في أثناء رحلته الى السودان تحطم المركب الذي كان فيه فوقع في البحر وكاد يغرق الا انه سبج الى أن وصل الى الشاطئ ثم امتطى هجيناً واجتاز الصحراء ^(٢) . ويروى انه لما حضر الى مصر في اول مرة غرق ونجا ^(٣) .

(١) " Serions - nous venus ici pour périr comme Pharaon "

ونذكرنا نجاة نابليون ومحمد على من الغرق في مصر بنجاة بوليوس قيصر من الغرق في نهر الاسكندرية عندما حضر الى مصر — بعد وفاة اسكندر الاكبر المقدوني بثلاثة قرون — وناصر كليوباترا ملكة مصر على اخيها بطليموس الذي غرق في النيل وعمره ١٥ سنة

(٢) " Dans le commencement de sa carrière, il a affronté tous "

les périls. L'année dernière ne l'a-t-on pas vu, malgré son âge, entreprendre le voyage de Fazoglu, c'est-à-dire aller à six cents lieues de sa capitale braver les écueils du Nil, briser sa barque, se jeter à la nage, et faire, sur un dromadaire, à travers les déserts, une grande partie de cette route longue et dangereuse ? " V. " L' Egypte " par Clot Bey. P. 63.

(٣) والى هذا الفرق اشار احد الشعراء بقوله :

هذا الذي قدّرت مصر له فثنى على العُباب ولم يظفر به الغرق

وكاد محمد على يغرق مرة أخرى اذ انه بعد ان جلا الانجليز عن ثغر الاسكندرية في سنة ١٨٠٧ دخلها محمد على ثم سار الى رشيد ومنها ركب مركباً في النهر قاصداً مصر ولكن المركب انقلبت به امام وردان فاجتاز النهر سباحة ثم تابع سفره راكباً جواداً . ٩٨ - وقد سقط محمد على من جواده وهو قاصد مصر كبا به جواده فسقط على

الارض . ونابليون كبا به جواده بعد اجتيازه نهر النيمين Niémen عندما غزا روسيا . ٩٩ - ونابليون زار مدينة أجاكسو (مسقط رأسه) مرة واحدة في حياته بعد أن غادرها في ١١ يونيه سنة ١٧٩٣ واستوطن فرنسا ، وقدرارها وهو عائد الى فرنسا بعد أن غزا مصر . نزل في أجاكسيو في أول أكتوبر سنة ١٧٩٩ ثم سافر الى فرنسا ولم يعد . ومحمد على مثله زار مسقط رأسه « قواله » مرة واحدة في حياته بعد أن غادرها في سنة ١٨٠١ واستوطن مصر وذلك بعدما زار السلطان عبد المجيد في استانبول في سنة ١٨٤٦ وعاد الى مصر .

١٠٠ - اجتاحت جيوش نابليون اوروبا من الغرب الى الشرق ووصلت الى قلب روسيا واحتلت موسكو ثم ارتدت من روسيا الى فرنسا خائرة القوى تمر في وسط بلاد معادية وتقاتل أمماً معادية تكافح المطر والثلج والبرد القارس الى ان عادت الى فرنسا بعد ان خسرت ٣٠٠.٠٠٠ جندي وخسرت مدافعها ومهماتا ، كذلك جيوش محمد على فانه بعد ان تألبت عليه انجلترا وتركيا والنمسا وبروسيا والروسيا اضطر الى اخلاء الاناضول وسوريا وفلسطين وعادت الجيوش المصرية مارة ببلاد معادية وأم معادية تقاتل الترك والانجليز والبدو والدروز ولما وصلت الى جنوب سوريا انقسمت فرقا ثلاثة مشاة وفرساناً ومدفعية . المشاة تحت قيادة ابراهيم باشا والفرسان تحت قيادة احمد باشا المانكلي والمدفعية تحت قيادة سليمان باشا الفرنساوى . وعادت الى مصر منهوكة القوى وقد خسرت نصف عددها تقريباً .

١٠١ - وفي آخر عهد نابليون بالحكم ^(١) أصابه اختلاط في عقله ^(٢) .

(١) قلت في آخر عهده « بالحكم » ولم اقل في آخر حياته لان اختلاط عقله اصابه في آخر عهده بالحكم اما هو فقد عاش بعد سقوطه وانهار امبراطوريته ست سنوات ثم مات بسرطان في المعدة (مثل ابيه) (٢) وفي هذا الصدد يقول لورد روزبري Rosebery في الصحيفة ٣٠٠ :

« Nous sommes donc convaincus que longtemps avant sa chute finale

وفي آخر عهد محمد علي بالحكم أصابه اختلاط في عقله .

١٠٢ - وابن نابليون مات بالسل . وابن محمد علي مات بالسل .^(١)

١٠٣ - كانت السفينة الحربية الانجليزية بيلير وفون Bellérophon شؤماً على نابليون وعلى محمد علي . اذ كانت بين سفن أسطول نلسون الذي حطم أسطول نابليون في ابى قير في أول أغسطس سنة ١٧٩٨ وكانت هي السفينة الحربية التي أفلت نابليون في يوم ١٥ يولييه سنة ١٨١٥ أسيراً من فرنسا الى إنجلترا - بعدما هزم في واقعة واترلو وسلم نفسه الى الانجليز - وكانت هي هي نفسها التي استخدمتها إنجلترا لضرب عكا عندما كان جنود محمد علي معتمدين فيها وبقيت هذه السفينة الحربية تطلق قنابلاً على القلعة وعلى المدينة حتى دمرت تلك المدينة وقتلت جنود الالاي المصرى الذين كانوا يدافعون عنها . ولما رفض رجال المدفعية المصرية التسليم استمر إطلاق القنابل عليهم الى ان استشهدوا على بكرة أبيهم مفضلين الموت على التسليم .

١٠٤ - ونابليون بعد وفاته نقل رفاته بجرأ من جزيرة سانت هيلانه الى فرنسا ثم نهرأ عندما اجتازت الباخرة نهر السين من مصبه الى باريس عاصمة فرنسا . ومحمد علي بعد وفاته فى الاسكندرية نقل رفاته نهرأ على باخرة اجتازت ترعة المحمودية ثم نهر النيل من الاسكندرية الى القاهرة عاصمة مصر .

l'Empereur avait perdu l'équilibre de ses facultés. Ceci ne veut pas dire qu'il fût fou, à moins que ce ne soit dans le sens où l'entend Juvénal dans son amère apostrophe à Annibal. Un "cerveau sain" est un terme élastique." V. "Napoléon" par Lord Rosebery P. 300

الى ان قال فى صحيفة ٣٠١ :

"Le Napoléon qui déclara un jour que toutes les contrées de l'Europe devraient déposer leurs archives à Paris et, un autre jour, que l'Empire français devrait être le pays d'origine de toutes les souverainetés; que tous les rois de la terre devraient avoir des palais, pour y résider, à Paris et assister, en pompe, au couronnement de l'Empereur des Français; le Napoléon qui refusa de faire la paix en 1813 et en 1814 avait perdu, évidemment, son équilibre mental. Cela est si manifeste que, dans les derniers jours de son premier règne, une conspiration se forma à Paris pour le déposer comme ayant perdu la raison." V.

"Napoléon" par Rosebery. P. 301

"Une phtisie pulmonaire emporta Ibrahim Pacha" V. (١)

"L'Egypte sous Ismail" par Amédée Sacré.

١٠٥ - أحب نابليون فرنسا حباً جماً وآخر كلمة له : « أريد أن يرقد رفاقي على ضفاف نهر السين بين الشعب الفرنسي الذي أحبه حباً جماً »^(١) وقد قرأتها مقوشة على قبره في سراي الانفاليد . وأحب محمد علي باشا مصر حباً جماً . في نشرة حررها ووزعها على الشعب المصري في يوم ١١ من شهر المحرم سنة ١٢٦٣ قال :

« ان أفكار وآراء محمد علي هي لخير هذا الوطن ، نحن وطنيون ، ومن لم يفهم معنى الوطنية ، فهو بلا شك لا يستطيع أن يكون من حصاف العقلاء . أيها الرجال : أستحلفكم بالله أن تطهروا نفوسكم من الشهوات النفسانية . انصفوا . اخدموا هذا الوطن العزيز باخلاص . ففتى كان وطنكم عزيزاً كنتم أعزاء . اعملوا ولا تدعوا الفرصة تفوتكم لتظهروه أمام العالم وطناً عظيماً بأهله كبيراً بحكامه »

وأخر كلمة له خاطب بها أولاده هي : « ليس لكم يا أولادي وطن غير مصر . فان لم تسلكوا سبيلي وتتبعوا خطواتي فلا عز لكم ولا علاء وأنا منكم برى »
ومن ماثور قول ابنه ابراهيم : « انى لست تركياً . إذ انه من يوم حضوري الى مصر طفلاً وشمس مصر تفعل في دمي فعلها حتى جعلته دمياً مصرياً صرفاً » .

١٠٦ - نختم بكلمات جامعة مانعة كأن قائلها عنى بها نابليون ومحمد علي معاً :

“ Le premier qui fut roi fut un soldat heureux. ”

“ Les hommes de génie sont des météores destinés à brûler pour éclairer leur siècle. ”

والكلمة الثالثة قالها مدرس لتلامذته وصفاً لنابليون ، وتنطبق على

محمد علي أيضاً :

“ Sa tête est le foyer des grandes idées comme le soleil est le foyer de la lumière ”

كلمة أخيرة :

“ Entre les plus beaux noms leur nom est le plus beau. ”

“ Je désire que mes cendres reposent sur les bords de la (١) Seine au milieu de ce peuple français que j'ai tant aimé. ” كتبها وهو في منفاه في ١٦ ابريل سنة ١٨٢١ وقد مات في ٢ مايو سنة ١٨٢١ . ومن غريب المصادفات ان يظهر نجم ذو ذنب قبيل موت نابليون كما ظهر نجم ذو ذنب قبيل موت يوليوس قيصر الروماني الذي يمد من اعظم ابطال التاريخ وهو الذي حضر الى مصر ورزق من ملكة مصر كليوباتره ولداً سماه سيزاريون Césarion .

كتب المؤلف

- ١ — رسائل في الوقف
٢ — الطعن في الأحكام بطريق النقص والإبرام (ترجمة كتاب مسيو دوهاتس)
٣ — قضاء المحاكم في مسائل الأوقاف (نقله إلى الفرنسية الأستاذ يعقوب خانكي)
٤ — خواطر خواطر
٥ — ما هنا وما هناك
٦ — مجموعة مذكرات في بعض قضايا شهيرة
٧ — عشر رسائل في القضاء والتشريع
٨ — مسائل قانونية ووسائل شتى
٩ — شؤون مصرية — طبعة أولى
١٠ — — — — — ثانية
١١ — قتال السويس
١٢ — أحاديث
١٣ — أحاديث جديدة
١٤ — فرض ضريبة على التركات والهبات والتأمينات والوصايا والأوقاف واليانصيب
١٥ — الرق والعق و الولاء شرعاً ونظاماً
١٦ — الحكر والوقف والتقدم
١٧ — اختلاف الدارين ومتى يكون مانعاً من الإرث — وترجم الى اللغة الفرنسية
١٨ — معجزة من معجزات الاصلاح الزراعى
١٩ — الملكية العقارية في مصر
٢٠ — ديون مصر
٢١ — الصورية ووجوب اعتبارها جريمة
٢٢ — المماطلة فى الخصومة وعلاجها
٢٣ — ترك وأتاتورك — وترجمه إلى اللغة الفرنسية الأستاذ جميل خانكي
٢٤ — قتال فاروق الأول
٢٥ — الذكرى المئوية لواقعة نزيب
٢٦ — المحاكم المختطة والمحاكم الأهلية . ماضيها — حاضرها — مستقبلها
٢٧ — المحاماة قديماً وحديثاً — بالاشتراك مع الأستاذ جميل خانكي
٢٨ — التشريع والقضاء قبل إنشاء المحاكم الأهلية
٢٩ — نفحات تاريخية
٣٠ — حياة اسكندر الأكبر
٣١ — نابليون ومحمد علي



LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 074069384

(NEC)
DT104
.K436
1940z